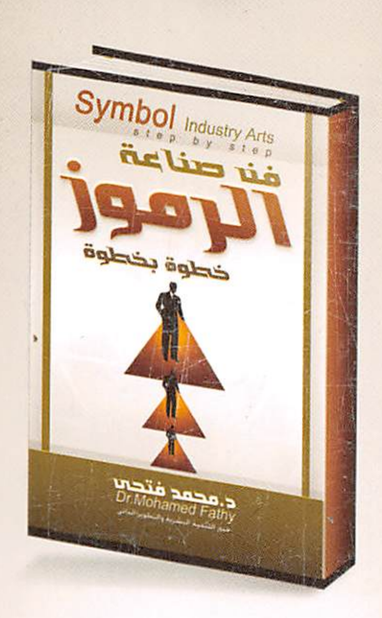
Symbol Industry Arts
step by step

فن صناعة الرموز
خطوة بخطوة



د. محمد فتحي
Dr. Mohamed Fathy
خبير التنمية البشرية والتطوير الذاتى





من إصداراتنا

- **الطريق إلى الرقم** (أشهر قصص النجاح للمشاهير والعظماء)
  د.محمد فتحى
- **حكايات من ذهب** (لتعيش وتحب وتنجح وتترك أثراً فى الحياة)
  د.ماجد رمضان
- **إدارة الموارد البشرية فى عصر المعرفة**
  د.أشرف عبد الرحمن
- **كلماتك تصنع حياتك**
  أشرف شاهين
- **اكتشف نفسك ثم انطلق**
  أشرف شاهين
- **هكذا تتخلص من سلبياتك وأخطائك**
  أشرف شاهين
- **المتحدثون يصنعون الحياة**
  محمد عبد المجيد مكى
- **الشخصية** (أنواعها - أمراضها - فن التعامل معها)
  سعد رياض
- **تعلم الفراسة ..اعرف نفسك والآخرين**
  محمود خليفة
- **فن التعامل مع الآخرين**
  محمد سعيد مرسى

8GATES 25244975



فن صناعة الرموز

خطوة .. بخطوة

تطبيقات قصصية



د. محمد فتحى

خبير التنمية البشرية والتطوير الإدارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٩٩١/٢٠٠٨

الترقيم الدولي:

I.S.B.N. 977 - 441 - 059- 9

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

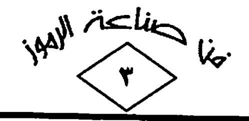
١٠ شارع أحمد عمارة بجوار حديقة الفسطاط

ت : ٢٥٣٢٦٦١٠ - ٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ٠١٠٢٣٢٧٣٠٢

www.iqraakotob.com

Email:iqraakotob@yahoo





مقدمة

الرمز موجود فى كل حياتنا، موجود فى السياسة والدين والتنوير، موجود فى الاقتصاد والأدب والصحافة، موجود فى النقابات المهنية والعمالية على اختلافها وتنوعها.

وهذا الرمز فى كل مكان يستمد مشروعيته من كونه يعبر عن أمل الفئة أو الطائفة أو المجموعة التى يمثلها فيحمل همومها ويرفع عن كاهلها معاناتها ويقود مسيرتها، كما يستمد الرمز أيضًا شرعيته من إخلاصه وشفافيته وذكائه وتحمله لتبعات قيادة المجتمع الخاص به، فهو مضح. وعز علينا فى أزماننا تلك أن نجد من الرموز ما نحتاج وتحتاج إليها أوطاننا حتى وكأن الزرع أصبح لا ينبت وإن نبت فنباته فارغ خالى الوفاض، وأصبح من يتحملون تبعات الأمور أشباه رجال -إلا من رحم ربى- والصالح فيهم والمجتهد يركز على أولويات مختلفة عن دون قصد منه، كيف لا وهو لا يعرف الطريق؟ هو يركز على الساعة ونحن نريد له أن يركز على البوصلة. هو يركز على العاجل من الأمور، ونحن نريد له ومنه أن يركز على تحديد الاتجاه والرؤية، على تطوير المهارات والمعارف والإمكانات وقبل ذلك الصبر على مشاق الطريق.

نحن نريد رجالا لا تلين قواهم مع أول صدمة واصطدام.

نحن نريد رجالا لا تخضع قلوبهم لوسائل الضعف والهوان.

نحن نريد رجالا يقتدون بمحمد ﷺ وصحبه الكرام وتابعيهم.

الطريق طويل وشاق، والتبعات ضخمة. لذا نريد رجالاً شعارهم:

أنا لا ألين ولا تخور عزيمتى بالقتل والتعذيب والإبعاد.

أنا مبدئى أن الهوان لغيرنا، والعز لى ولأمتى وبلادى.



لا أستسيغ الذل أو أرد الردى؛ فالموت فى زمن الهوان مرادى .

ويقول المثل الصينى:

إذا أردت أن تحصد بعد شهور، فازرع قمحًا .

وإذا أردت أن تحصد بعد سنوات، فازرع شجرًا .

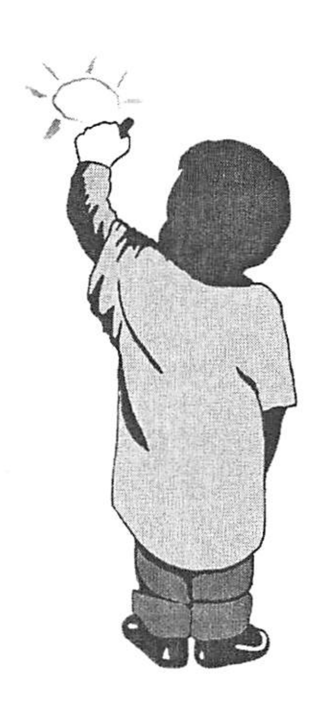
وإذا أردت أن تحصد بعد جيل، فازرع رجالاً .

وكان هذا هو قصدنا، والله من وراء القصد وهو أرحم الراحمين .

المؤلف

mf - expertise @ hotmail. com

صناعة الرمز.. سُنَّة كونية





الرمز وأهميته فى حياة البشر:

إن الله عز وجل قدّر فى الكون الصراع بين الحق والباطل وأن الأيام دول حيث يقول: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وجعل سبحانه لكل شيء ولكل نصر وغلبة سببًا فمن أخذ بأسباب النصر والغلبة حازه وناله ولو كان من أصحاب الباطل، وإن الرموز والأشخاص من أهم الأسباب التى لها أثر على مر التاريخ، فى كل من الهزيمة والتقدم والتأخر والتحضر والتخلف. فالنصر لا ينزل من السماء دون أن يحمله رجال ويقوم به أقوام، وعلى قدر البذل والتضحية تكون النتيجة، ولهذا أولى القرآن الرموز والأشخاص عناية واهتمامًا خاصًا سواء أولئك الذين كان لهم أثر إيجابى كالأنبياء والصالحين أو الذين كان لهم أثر سلبى كرءوس الكفر والطغيان، فالقرآن تحدث عن الأنبياء وبيّن أن الذين حملوا مشاعل النور والهدى وأصلحوا وغيّروا المجتمعات وقاوموا الفساد إنما هم أشخاص كانوا رموزًا معروفة بين أقوامهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فقد اقتضت رحمة الله وعلمه وعدله أن يرسل إلى عباده رسلاً وأن ينزل على بعض الرسل كتبًا ليحاولوا جميعًا هداية البشرية إلى بارئها واستنقاذ فطرتها من الركام الذى يرين عليها ويغلق منافذها ويعطل أجهزة الالتقاط والاستجابة فيها -وهذه هى وظيفتهم. وبلغت العناية بهؤلاء الرموز فى القرآن درجة أن سُميت سور بأسماء هؤلاء الأنبياء وكُررت قصصهم وذكرت جوانب من حياتهم وسيرتهم وصراعهم مع رموز الباطل وكيف قابلوا المكر والكيد. . أى طريقة حياتهم ومشكلاتهم فى مجتمعاتهم. ولعل فى قصص نوح ويوسف وهود ومحمد وإبراهيم ما يفسر هذا بوضوح يسير وخاصة موسى عليه السلام حيث ذُكرت قصته وبتكرار وفى مواقف مختلفة وبينة ودروس وعبر لم يكن بالإمكان أن تخطر على بال أحد حتى وهو يتعلم من الخضر فى سورة الكهف حيث أدب التعلم من رمز لرمز من خلال تصوير فنى رائع للقصة:

«قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمنى مما عُلمت رشدًا؟

أدب لائق بنبى، رمز، يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح فيرد عليه قائلاً: «إنك لن تستطيع معى صبرًا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا؟»‌.

ويعزم موسى على الصبر والطاعة ويستعين بالله ويقدم مشيئته قائلاً: «قال: ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرًا»... إلى آخر الآيات التى توضح فى النهاية أن الطبيعة البشرية كلها تلتقى فى أنها تجد أن التجربة العملية الملموسة لها وقع وطعم غير التصور النظرى فلا يصبر الإنسان -حتى وإن كان رمزًا يُفترض فيه الصبر على التعلم- وهكذا هى السنن الكونية عملية ملموسة يدركها الناس بفطرتهم -وإن أعظم رمز عرفه التاريخ هو النبى ﷺ، قدوة العالمين والرمز الذى نفاخر ويفتخر به كل مسلم، فهو الرمز الذي لا يمكن لأحد أن يعرف النصر فى الدنيا والآخرة إلا عن طريقه والتأثر به والتأثير فى غيره من خلاله، فهو الذى وجه الأمة وحفظ الله لنا أقواله وأفعاله وسننه وسيرته ومواقفه لتكون لنا نبراسًا وهدى، ومن خلاله يتم الوصول إلى ما نريد من عز الدنيا والآخرة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وانظر إلى هذا المعنى فقد قال القرآن: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ولم يقل «جاءكم رسول منكم» فالأولى أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الرابط الذى يربطهم به فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس وهى أعمق وأحس، ثم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أى يشق عليه عنتكم ومشقتكم، ثم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ لا يلقى بكم فى المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوى فإذا هو كلفكم الجهاد وركوب الصعاب فما ذلك من هوان عليه ولا بقسوة فى قلبه وغلظة، إنما هى الرحمة فى صورة من صورها، الرحمة بكم من الذل والهوان، الرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحظ رضوان الله والجنة التى وُعد المتقون.

- لماذا يفعل هذا وبهذه السبل؟ لأنه رمز وهذا هو برنامجه العملى للخروج بكم من النفق المظلم إلى رضوان الله وجناته العُلى.

- ولماذا هو يفعل هذا؟ لأن الرمز يكون هاديًا وإمامًا . ثم عندما ينتقل هذا الرمز إلى الرفيق الأعلى، ماذا نفعل؟ هل نهيم على وجوهنا ونبحث عن رمز يُبعث من جديد، أم ماذا؟ ينقل صحابته الأبرار سيرته وأفعاله وأقواله وهم الرموز الجدد الذين أعدهم الرسول الكريم ليبلغوا لنا الدين، فهم صحابة أبرار أطهار أثنى عليهم ربهم وزكاهم عندما قال عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

ولأن النبي ﷺ يدرك أهمية الرمز وضرورته بعد وفاته وأن تُحفظ به الأم، لذا فإنه كان يهيئ أصحابه على هذا الأمر حتى تنجو الأمة وقت الفتن وتسلم وقت المحن، وهذه هي ضرورية ووجوبية الرمز، فلماذا إذن يُوجد بيننا إن لم نستفد منه وقت الأزمة؟ ألم تر ماذا فعل أبو بكر الصديق الرمز الأول بعد النبي حين وفاته وكيف تدارك أمر وفاة النبي ولم يلتفت إلى عمر وهو يتوعد من يقول إن النبي قد مات، وقال حينها: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . . ثم هذا الرمز وفي الفتنة نفسها وهو يقوم على غُسل نبي الأمة يأتيه مناد أن أخرج فالأمر أهم من غُسل النبي فيخرج الرمز ليحل إشكالية من يخلف النبي ﷺ في السقيفة، أليس الأمر فتنة ومحنة فمن قائم بحلها إن لم يقم بها الرمز؟ وإن هذا ناتج إعداد وتدبير النبي ﷺ فهو الذي يهيئ أصحابه على هذا الأمر ويُظهر اهتمامه بالقادة والرموز بعده فيقول: «... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشداين المهديين من بعدى، عضّوا عليها بالنواجذ**» [رواه ابن ماجه]. لماذا هذه المحن والأزمات والنوائب والنوازل؟ ثم يأتي الحديث الصحيح ليحدد «**اقتدوا بالذين من بعدى: أبى بكر وعمر**» [سنن الترمذى]، ويأمر أبا بكر أن يصلي بالناس ويقضى وقتًا مع، الرمزين الاثنين لمناقشة قضايا المسلمين، لتهيئة الناس للتأثر بهما ولتهيئة الرمزين وإعدادهما الإعداد التربوى والمهارى من بعده لتحمل المسئولية؛ فالرمز مسئولية، وعليه أمانة أمام الله عز وجل.

ولدلالة هذا الأمر -رمز أبى بكر وعمر فى المجتمع المسلم ثم المشرك (أهل قريش)- أصبح مألوفًا حتى عند كفار مكة أن هذين الرمزين هما من يخلفان الرسول ﷺ، فيوم أحد وبعد أن انتهت المعركة ينادى أبو سفيان وهو زعيم المشركين ويقول: هل فيكم محمد (وكان أشيع أن النبى ﷺ قد مات)؟ فأمرهم النبى ألا يجيبوه. ثم قال: هل فيكم أبو بكر، فلم يجيبوه.

فقال: هل فيكم عمر.... «إلى نهاية الحديث».

والشاهد من الفعل أن الكل يعلم يقينًا أن الرمزين اللذين برزا على غيرهما من الصحابة هما أبو بكر وعمر -رضوان الله عليهما- ولما توليا أمر المسلمين بعد النبى ﷺ كانا خير خليفتين.

- وليس هذا وحسب وإنما يشير النبى ﷺ إلى رمز مستقبلى ليعين الأمة ويبعث بها روح الأمل والتفاؤل فيوصى أمته ببعض الرموز فيقول عن الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهما: «إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» [رواه البخارى] فيكون الحسن رضى الله عنه هو الرمز الصالح الذى رباه النبى على منهج الجماعة فتنتهى على يديه أعظم فتنة فى عصر الصحابة، فسُمى هذا العام بعام الجماعة، ويتنازل هذا الرمز الصالح -لأجل أن ينقذ الأمة- لمعاوية. ولا ينتهى الأمر عند ذلك، وإنما طالما هناك من يتمسك بسنة النبى ﷺ وطريقه القويم تظهر الرموز الصالحة وفى كل المجالات، فيظهر الرمز السياسى: عمر بن عبد العزيز فيكون صالحًا مجددًا، ويظهر العالم الرمز: فيكون الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل، فقهاء تحملوا عنتًا من الحكام وفتنًا وصبروا فكانوا رموزًا منيرة حتى الآن، وظهر الطالب الرمز: فيكون التابعون وجهادهم فى طلب العلم والحديث وما تكبدوه من مشاق حتى ضُرب بهم المثل الجلى ومنهم الكثير وأبرزهم أمير الحديث وفارسه: البخارى الذى ظل سنوات وسنوات يتتبع ويصنف الحديث مدة ست عشرة سنة ليخرج بكتاب هو الأصح بعد كتاب الله عز وجل، وظهر المحارب المجاهد الرمز: فكان نور الدين محمود، صلاح الدين الأيوبى، وسيف الدين قطز، ويوسف بن تاشفين، محمد بن مراد الثانى الملقب



بمحمد الفاتح فاتح القسطنطينية، وظهر وسيظهر المصلحون والعلماء والمجاهدون. . . كلٌ رمز فى مكانه على مر العصور.

- ولكن إن قيل هذا عن الرمز الصالح فكيف عن الرمز الطالح الباطل صاحب الأثر السلبى على من حوله؟! نعم هناك رموز سيئة أثرت فى مجتمعاتها فكانوا رموزًا للباطل: فهذا فرعون الذى وصل به حد الطغيان أن قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، إنه سوف يبحث وينقب عن الحقيقة مع أنه شاك فى صدق موسى. إنه رمز بلغ من تأثيره على الناس ومن حوله أن ألغى عقولهم فلم يعودوا يفكرون إلى أى هلكة سوف يؤدى بهم﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] وهذا هو التأثير المضاد إن لم يكن هناك الرمز الصالح، إلغاء العقول والاستخفاف والسخرية والطغيان والبغى حتى يُظهر الله -وهى السنة الكونية له عز وجل- الرمز الصالح الذى يقضى على هذا الفرعون وغيره، فالرمز السيئ الطالح لا يناقش بحجة ولا يدلى ببرهان وإنما يقول قولاً غامضًا، لا يُحق حقًا ولا يُبطل باطلاً ولا يدفع دعوى. فيجيء موسى -عليه السلام- فيحيل الأمر بينه وبين الفرعون الرمز إلى الله عز وجل فيقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: ٣٧] رد مهذب من رمز صالح يلمح فيه ولا يصرح وفى الوقت ذاته ناصع واضح مليء بالثقة والاطمئنان فيكون الرد الطبيعى من السيئ ما كان حيث قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ ومع مزيد من السخرية والتهكم والاعتماد على الأساطير والتاريخ المزيف- ولربما كان الرمز السيئ هو من زيّف التاريخ بنفسه وبيديه الملوثتين ثم صدق الزيف والبهتان- ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ هؤلاء الرموز النقية يُظن بها أنها من الكاذبين والناتج الطبيعى لهذا كله: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] شتان بين هذا وبين وعد الله عز وجل للذين آمنوا

وعملوا الصالحات ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] وبين الآخرين حيث قال: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠] هذا لأن الله يريد غير ما يريد فرعون وأمثاله من الرموز فى كل مكان ويقدّر غير ما يقدّر الطاغية الباغى؛ لأنه نسى إرادة الله وتقديره، فالله عز وجل يعلن إرادته ويكشف عن تقديره هو فيقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

أئمة وقادة وليس عبيداً وتابعين.

يرثون الأرض المباركة لأنهم يستحقونها بالإيمان والصلاح.

ويمكّن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخى الأقدام مطمئنين.

إنها قوة الله عز وجل أمام قوة الظلم والطغيان.

قوة الله تُظهر الرمز الصالح وأتباعه وناصريه ومؤيديه.

قوة الله تمحو من على وجه البسيطة الرمز السيئ: الفرعون، النمروذ، هامان، أبو لهب، أبو جهل. . . حتى وإن استطال فى الأرض وظهر عليها حيناً من الدهر.

لذا وحتى نصل لدرجة الأئمة الذين يرثون الأرض المباركة، وحتى نصل إلى القادة والرموز لنؤثر فى الباطل ونظهر الحق. . فمن باب أولى أن نُعد أنفسنا لنكون رموزاً لهذا الحق كل فى ميدان عمله: الأم، الأب، الطالب، المهنى، السياسى، العالم، المجاهد. . . حتى لا يظهر فى هذا المجال داع إلى الباطل ومعه بوقه وإعلامه ومع الأقوال الغامضة تجدنا نُقر ونُسلم لهذا الداعية الباطل، ونحن أمام الله واقفون بين يديه ماذا سيكون الرد؟!.

* إن الرمز وإعداده وصناعته وتجهيزه في كل ميدان من ميادين الحياة لهو سنة كونية وواجب كل مسلم أن يكون سبيلاً وحجراً لإتمام وإعلان هذه السنة الكونية فإن لم يستطع فليساعد غيره ليكون هو الرمز لإتمام هذه السنة الكونية.



فإن كنت في يقين أنك لست أنت جيل النصر . .

فلتكن جسرًا يعبر عليه الآخرون للنصر . .

فلتكن جسرًا يعبر عليه الرموز للنصر .

الرموز، نعم الرموز الذين يحتاجون إلى التحديد والتوصيف ونقل الخبرات حتى يقدموا النموذج الحياتى الذى يريده الله عز وجل للفرد المسلم ولأمة الأسلام كما قال في كتابه العزيز : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٧، ٧٨].

فى هاتين الآيتين يجمع المنهاج الذى رسمه الله لهذه الأمة ويلخص تكاليفها التى ناط بها ويقرر مكانها الذى قدره لها ويثبت جذورها فى الماضى والحاضر والمستقبل متى استقامت على النهج الذى أراده لها الله . إنه يبدأ بأمر الذين آمنوا بالركوع والسجود . ويثنّى بالعبادة وهى أشمل من الصلاة ؛ حيث تشمل الفرائض كلها وتزيد عليها ، وتضم كل نشاط الإنسان فى الحياة والذى إن نوى به أن يتقوى على طاعة الله وعبادته تكون له عبادات وحسنات . ويختم بفعل الخير عامة فى التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة . . يأمر الأمة بهذا رجاء أن تفلح ، فهذه هى أسباب الفلاح : العبادة تصلها بالله فتقوم حياتها على قاعدة ثابتة وطريق واصل ، وفعل الخير يؤدى إلى استقامة الحياة الجماعية على قاعدة من الإيمان وأصالة الاتجاه . فإذا استعدت الأمة المسلمة بهذه العدة من الصلة بالله واستقامت الحياة فاستقام ضميرها واستقامت حياتها ، نهضت بالتبعة الشاقة وهى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ -إنه تكليف ضخم؛ حيث الجهاد فى سبيل الله يضم جهاد الأعداء وجهاد النفس وجهاد الشر والفساد، وكلها سواء وهذا الجهاد الشاق أمانة ضخمة اختاركم

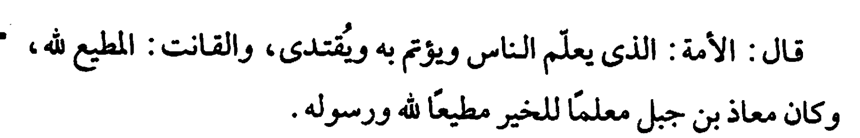
الله لها من بين عباده ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾. ولا مجال أو مناص للتخلي أو التنصل عن هذه الأمانة أو الفرار منها؛ لأن هذا المنهج هو منبع التوحيد منذ ماضى البشرية، منهج واحد من البداية حتى انتهى المطاف بمحمد رسول الله الخاتم. . من الرمز إبراهيم إلى الرمز خاتم المرسلين. ومادامت هذه الأمة شهيدة تشهد على الناس فهى القوامة على البشرية وهى الوصية على الناس وتربيتها وفكرتها. . فهى الشاهدة والرمز على البقية. . فهى المختارة من الله عز وجل. ولقد ظلت هذه الأمة وصية على البشرية طالما استمسكت بذلك المنهج الإلهى وطبّقته فى حياتها الواقعية. حتى إذا انحرفت عنه وتخلت عن تكاليفه، ردها الله عن مكان القيادة والتأثير والرمز إلى مكان التابع فى ذيل القافلة لتسمع وتطيع من رموز الباطل السيئة. وهى في سماعها لهذا النعيق تدرك تمام الإدراك أن ما يقوله هراء لأنها هى التى تربت على فكر منطقى فطرى غير هذا، ولكنها لابتعادها عنه تشعر بالذل والمهانة لافتقادها المكانة التى كانت عليها والرمزية التى كانت تؤثر فى الناس من خلالها.

وبالتالى لن يصلح لهذه الأمة إلا أن تسير على هذا النهج لتسترد ما كانت عليه. ليس هذا وحسب، وإنما تهيئة من يقود هذه الأمة -أو يتولى أى أمر- لأن يحيط بالأمر من كل جوانبه ويعرف مشقة الأمر الإلهى: ﴿جَاهِدُوا﴾ وتكاليف هذا الجهاد من نفس ومال ووقت وصحة.

الرمز هو....

يقول الأشجعى: كنت جالسًا مع عبد الله بن مسعود فقال: إن معاذًا كان قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين، فقلت: يا أبا عبد الله إنما قال الله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠] فأعاد قوله: إن معاذًا كان أمة. . . فلما رأيته أعاد عرفت أنه تعمد الأمر، فقال: أتدرى ما الأمة وما القانت؟

قلت: الله أعلم!



قال: الأمة: الذى يعلّم الناس ويؤتم به ويُقتدى، والقانت: المطيع لله، وكان معاذ بن جبل معلمًا للخير مطيعًا لله ورسوله.

أى أن ترجمان القرآن حدد أهم ملمحين أو صفتين لهذه الشخصية التى يراد بها أن تقوم بهذه المهمة وهى: أن يكون معلمًا للخير ومطيعًا لله ورسوله.

ويقول صاحب الظلال: «. . . فالإمام الذي يهدى إلى الخير هو قائد أمة وله أجره وأجر من عمل بهدايته، فكأنه أمة من الناس فى خيره وثوابه لا فرد واحدًا، قانتًا لله طائعًا خاشعًا عابدًا حنيفًا متجهًا إلى الحق مائلاً إليه».

أى أن الرمز..

بدايةً عليه أن يهدى الآخرين إلى خير الأمور فى تخصصه على أن يكون خاشعًا مطيعًا لربه يبتغى من وراء ذلك الثواب من الله عز وجل.

- فإن كان رمزًا دعويًا أو سياسيًا أو طالبًا أو معلمًا أو أبًا أو أمًا. . . أى تخصص عليه أن يهدى وينير الآخرين إلى خير الأمور فى هذا التخصص شريطة أن يبتغى وجه الله عز وجل.

أى أن الرمز..

هو أحد أفراد المجتمع أو الجماعة المتخصصة -رجلاً كان أو امرأة- يستطيع التعبير عن فكر التخصص الذى يعمل ويتخصص فيه بوضوح، ويتميز بمجموعة من الصفات التى تدفعه إلى المشاركة مع الغير (باقى أفراد التخصص) بفعالية فى القضايا التى يعيشون فيها بكل صور المشاركة المتاحة والتى تؤدى إلى التغيير للأحسن. . على أن يبتغى من وراء ذلك القصد رضوان الله عز وجل.



هذا الشخص الرمز:

هو نموذج الحياة التى يراد للفرد أن يحياها ولمجتمعه الناضج أن يعيش فيها دون زيف أو مواربة، فهو يعمل لتحقيق هذا النموذج من خلال رسالة ورؤية واضحة يعيش بهما فى ظل أهداف متكاملة تعطى لحياته معنى ولتخصصه روحًا وقيمة ويمدها بأسباب الحركة والنمو والتقدم المستمر.

فإذا عدنا إلى رمزنا الأول النبى ﷺ وجدناه كان قرآنًا يمشى على الأرض لديه رؤية واضحة ورسالة يسير عليها ولا يحيد عنها، فتجد موقفه من عمه أبى طالب عندما عظم الأمر على الأخير فقال للرسول: يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق» ماذا قال الرسول الرمز ﷺ؟ قال: يا عم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

هذا الرمز وهو فى طريق هجرته من أعدائه لا ينسى تخصصه ولا يفتر عنه لحظة فيدعو إلى دين الله عز وجل مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة والأمن مفقودًا يلقى بُريدة بن الحصَيْب الأسلمى فيدعوه إلى الإسلام فيسلم هو وقومه ويصلى معهما العشاء، كما لقى لصين بالقرب من المدينة يقال لهما المهانان فقصدهما وعرض عليهما الإسلام فأسلما وقال لهما: بل أنتما المكرمان.

بل إن أحد الصحابة يقول: رأيت النبى فى مكة عشر سنين يدعو إلى الله دون كلل أو تعب أو نصب.

ليس هذا وحسب وإنما يرفه عن صحابته حتى ينسوا الآلام التى يعانونها فيقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أبينا

أو يصنع الرمز هذا ويرفه عن جماعته، نعم فهم مسئولون منه أمام الله عز وجل ومواقف عديدة للنبى الكريم تدل على أنه نموذج حياة لكل الناس.

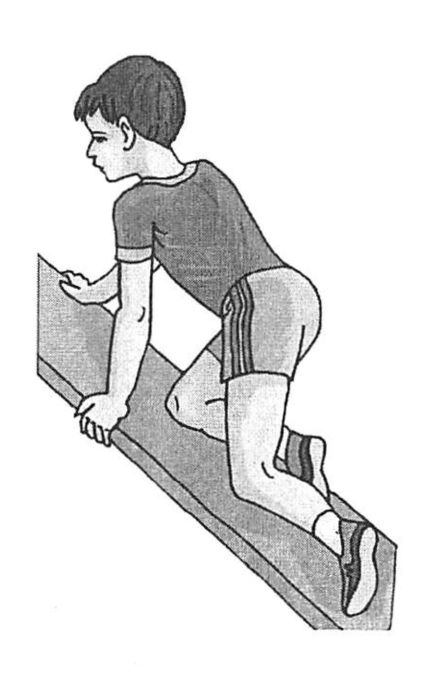
ومن هذه التربية يخرج علينا رمز تمسك بمنهج النبى ﷺ فكان مجاهدًا يُؤتم به ويُقتدى به مطيعًا لله، هذا الرمز هو محمد الفاتح الذى كان منهاج حياته

هو:

- نيتي: امتثالى لأمر الله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.
- وحماسي: بذل الجهد لخدمة دينى، دين الله.
- وعزمي: أن أقهر أهل الكفر جميعًا بجنودى، جند الله.
- وتفكيري: منصب على الفتح، على النصر، على الفوز بلطف الله.
- جهادي: بالنفس والمال، فماذا فى الدنيا بعد الامتثال لأمر الله؟
- رجائي: فى نصر الله وسمو الدولة على أعداء الله.

***

التنشئة التربوية للرمز





حتى يتم إعداد الرمز وصناعته صناعة يحتاج إليها السوق الخاص به، لابد له من تنشئة تربوية، محضن يوضع به حتى يستطيع أن يخرج للنور ويتعرف على الحياة بكل مقوماتها فتتكون لديه مناعة وقوة فى جسده فلا يمرض عند أول هواء فاسد أو لقاء أو موقف سيئ، وهذا هو فعل النبى ﷺ عندما جمع الرعيل الأول من المسلمين فى أعظم محضن أو حضانة وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم، أعظم مدرسة للتنشئة التربوية لإعداد الرموز، رمز البشرية جميعها وتلاميذه رموز الدعوة والهداية والقادة، الرموز الذين وعوا مفهوم القرآن وخيرية الأمة ومنهاج الحياة بناء على تربية وتنشئة النبى ﷺ لهم فى هذا المحضن، وكانت قدرة النبى فائقة فى اختيار العناصر الأولى للهدف المنشود ثم إعدادهم الإعداد الخاص ليؤهلهم لتسلم القيادة وحمل الرسالة. وكانت شخصية الرسول هى المحرك الأول؛ حيث كان يملك ﷺ قوى الجذب والتأثير على الآخرين مع المادة الدراسية التى يقوم بالتدريس لهم منها حتى يتحول الفرد منهم إلى إنسان جديد فى القيم والمشاعر والأهداف والسلوكيات والتطلعات فى الطموح. وعليه يكون هذا الناتج هو ما نريد؛ فإذا كنا نريده أن يثبت ويصبر على الأذى يكون الفعل الصبر والثبات كما كان بلال بن رباح وعمار بن ياسر وآله، وإن كان التضحية تكون التضحية بالمال كما فعل صهيب الرومى، إلى غير ذلك مما فعل الصحابة الذين تخرجوا فى هذه المدرسة.

كل هذا كان من تربية وتنشئة النبى ﷺ وبدون أية مصادمات أو تسرع للوصول إلى الهدف المنشود، وهذا هو فقه السنن المطلوب استيعابه ولعل فى قول الأستاذ البنا فى منهجية التعامل مع السنن ما يوضح هذا الأمر، حيث يقول رحمة الله عليه: «ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحوّلوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد».



علامَ تتم تنشئة الرمز تربويًا؟

أولاً:



من هو الشخص المناسب لأن يكون رمزًا؟

كثير من الناس عندما يختارون أشخاصًا ليصنعوهم رموزًا فى التخصص المطلوب فإنهم يختارون طبقًا للضغط المفروض عليهم عند ذلك الوقت، فهو مضطر أن يختار أشخاصًا لمهمة ما طارئة أو عاجلة. وعليه فهو يختار اختيار المضطر مع علمه علم اليقين بعيوب أو مساوئ هذا الشخص. وعليه فهو يعتقد أنه يمكن مع إعداد بسيط لهذا الشخص أن يتغلب على عوائقه ويتجهز للمهمة المطلوبة فيحدث ما يحدث كل يوم أن ينشق الفرد عن الجماعة التى اختارته بعد السمع والطاعة، ويلقى جانبًا بكل ما كان يعيه من أهداف على جانب الطريق، والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن فى هذا الصدد. لماذا يحدث هذا؟ ألأن التربية خاطئة أم لأنه المهمة الملقاة على عاتقة كبيرة عليه؟! كلا ولكن لأنه ليس الشخص المناسب لهذه المهمة، ونتيجة عدم الملاءمة لها يخرج عن الشريط المطلوب منه.

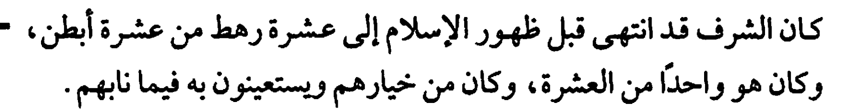
إذن أولى عوامل التنشئة التربوية:

حسن اختيار الشخص المطلوب

ولك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة لماذا اختار أبا بكر الصديق ليدعوه وليكون أول رجل من الأحرار يسلم ويصبح رمزًا ثانيًا للدولة الإسلامية؟

- **لماذا اختار الرسول أبا بكر ولماذا حسن إعداد أبى بكر فى التربية؟**

- كان أبو بكر الصديق فى الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم؛ حيث



كان الشرف قد انتهى قبل ظهور الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن، وكان هو واحدًا من العشرة، وكان من خيارهم ويستعينون به فيما نابهم.

- كان أبو بكر عالمًا من علماء الأنساب وأخبار العرب وله فى ذلك باع طويل جعله أستاذ الكثير من النسابين فى ذلك الوقت، وكان ممن لا يعيب الأنساب ولا يذكر المثالب بخلاف غيره.

- كان تاجرًا يرتحل بين البلدان وصاحب رأس مال ينفق منه بسخاء وكرم عُرف به فى الجاهلية.

- كان قومه يحبونه ويألفونه ويعترفون له بالفضل العظيم والخلق الكريم، وكانوا يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، وقد قال له ابن الدغنة حين لقيه مهاجرًا: «إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتكسب المعدوم، وتفعل المعروف».

- لم يشرب الخمر فى الجاهلية وعندما سئل عن ذلك قال: كنت أصون عرضى وأحفظ مروءتى؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعًا لعرضه ومروءته.

- لم يسجد لصنم فى الجاهلية قط، فخلقه الحميد وعقله النير وفطرته السليمة حملته على الترفع عن كل شىء يخدش المروءة ويُنقص الكرامة من أفعال الجاهليين التى تجانب الفطرة السليمة وتتنافى مع العقل الراجح الصادق.

إذن كان أبو بكر يحمل رصيدًا ضخمًا من القيم الرفيعة والأخلاق الحميدة فى المجتمع.

- وعندما عرض عليه الرسول الإسلام أسلم من فوره وكان أنفع ممن أسلم قبله للإسلام. ولأن الاختيار كان صحيحًا، كان تحرك الصديق رضى الله عنه فى مهمته -الدعوة إلى الله- حماسيًا من أول يوم بل من أول لحظة بعد إسلامه وحتى وفاته. لم يفتر أو يضعف أو يمل أو يعجز وكانت أول ثمرة جناها الإسلام من هذا الرمز: دخول صفوة من خيرة المسلمين الأوائل على يديه؛ فهو يعرف مهمته ودونما

سؤال. فالوصف الوظيفى المحدد له هو الدعوة إلى الله فى مجاله ومجتمعه، فأسلم على يديه: الزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وطلحة ابن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم.

هؤلاء جميعًا كانوا هم الدعامات الأولى التى قام عليها صرح المهمه الدعوية، وبهم أعز الله دينه وأيده. وليس هذا وحسب، وإنما دخل على أسرته وخادمه فأسلموا.

لماذا حدث هذا؟

لأن الصفات الأساسية موجودة به، فكان فرد زمانه فى الصفات الخلقية والنسب واللين فى التعامل

وأنت..

كيف تختار الرمز المنشود والمناسب لتخصصك؟

- ركز تمامًا فى التخصص سواء كان سياسيًا أو دعويًا أو إعلاميًا أو نقابيًا...

أيًا كان، ما هى معايير وسمات وصفات هذا التخصص؟

- انتق أفضل شخص مناسب للمعايير والصفات المرتبطة بالتخصص. فإن كنت تريد رمزًا سياسيًا لا يصلح أن تختار شيخًا دعويًا وتدعمه سياسيًا. بل الأفضل أن تعد الشخص من صغره أو من مدة زمنية طويلة إعدادًا سياسيًا؛ حتى لا يغلب الطبع التطبع ويشذ عن المطلوب، أما إن كان هذا الشيخ الداعية لديه الميول والمؤهلات السياسية فلا مانع من أن يلتزم بالخطة الموضوعة للعمل المنهجى فى التخصص المطلوب. فأبو بكر الصديق هذا التاجر الداعية إلى الله وهو فى الهجرة ويخشى على رمز الدولة الوليدة الرسول ﷺ ولديه الحس الأمنى الرفيع فعندما كان يسأله سائل: من هذا الرجل الذى بين يديك؟ يقول: هذا هاد يهدينى السبيل، فظن السائل أن الصديق يقصد الطريق وإنما كان يقصد سبيل الخير.

وإن كنت تريد رمزًا نقابيًا، فلا يصلح أن تحضر شخصًا لينزل بالباراشوت على المقر النقابى استنادًا لسمعته فى التخصص وليس له نشاط نقابى؛ فهو فى هذه اللحظة مثل الحكام الذين يتولون السلطة وهم على الدبابات يُحَضَّرون ويُحْضَرون من الخارج ليجلسوا على كراسى الحكم، هؤلاء مثل اللاصق الفاسد سريعًا ما يخرج وينفصل عن الملصوق، مطلوب أن يكون له خبرة فى الأمر من داخل المجتمع النقابى المرشح للدخول فيه.

ألم يكن أبو بكر من مجتمعه تاجرا مثلهم يعرف أنسابهم وأخبارهم؟

- أن يكون الشخص محبوبًا مألوفًا لدى المجتمع المطلوب ترشيحه له، له فضل عليهم، صاحب خلق فى أوساطهم، عفيف النفس، كريمًا، يُنزل الناس منازلهم.
- أن يكون صاحب عقل راجح فى التخصص معروفًا فيه، فيؤخذ بالرأى دون سفاهة أو تقليل من شأنه.
- أن يكون صاحب مال يستطيع أن ينفق منه على نفسه وأهله فلا يؤخذ عليه أن تم ترشيحه ليكون رمزًا فتربح من المنصب الجديد. صاحب مال هنا لا يعنى أنه ذوغنى فاحش ولكن معناه أن ينفق هو على المنصب وليس المنصب هو الذى ينفق عليه.
- أن يكون صاحب همة عالية -إن لم توجد به يمكن إعداده لها- يعرف ما هو المطلوب منه دون تكرار كل فترة زمنية لتذكره بمهمته وأهدافه.
- مطلوب شخص يملأ المنصب الجديد لا المنصب يعطيه المكانة فيكون هو الذى يعطى بالفعل، عندها يكون رمزًا وليس وجوده مثل عدمه لا يقدم ولا يؤخر.

- أن تستعد أنت أولاً بأن تبتعد به عن الضغط الاجتماعى الذى قد يحدث له حتى لا يتسبب فى موته مبكرًا فى مهده نتيجة هذا الضغط. حتى إذا تمت توعيته وتربيته وتنشئته كما تريد وتشبع بالمبادئ المطلوبة يخرج إلى المجتمع المنشود كالنور يقهر الظلام رويدًا رويدًا.



ثانيًا: إكساب الرمز القيم الإسلامية:

الإسلام قيمة حية وحضارة راقية وهو حاجز نفسى عظيم فى دعم الرمز لمواجهة أخطار الحياة وعامل من عوامل التوازن النفسى والتكامل الشخصى للرمز، كما أن الموازين الأخلاقيه من أهم أسباب تقدم الرمز فى التخصص الذى سيتقدم إليه لعمارة الكون والخلافة عن الله فى هذه الأرض ليحقق أسباب وجوده كمسلم رمز، لا كرمز مسلم متخصص، وفى هذا الصدد يقول الأستاذ أنور الجندى فى «معلمة الإسلام»:

[والقيم فى الإسلام ثابتة ومتغيرة، فالقيم الثابتة لا تخضع للأزمان ولا للبيئات ولا تتغير بتغير الأماكن والعصور؛ لأنها ارتبطت بالإنسان المركب من روح ومادة وجسم ونفس، وهذه هى القيم الكبرى المرتبطة بالعقيدة والأخلاق والتى تقوم على أساس إنسانى خالص قوامه الحب والأخوة والرحمة.

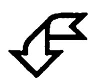
أما القيم المتغيرة فإنها تختلف باختلاف الزمان والمكان وتخضع لاختلاف البيئة والظروف الاجتماعية. وكان الإسلام واضحًا فى تركيزه على القيم البشرية؛ فقد دعا إلى الزواج والطعام والشراب والزينة والعمران، ووضع ضوابط للقيم الاجتماعية أهمها التوسط وعدم الإسراف، وأقر كل مطالب النفس والجسم.

ومعنى هذا أن الإسلام لم يعتبر القيم المادية من الأمور المكروهة أو المرفوضة، ولم يمنع الإسلام أبدًا من تطوير القيم الصغرى التى ارتبطت بالبيئة والزمن من غير المساس بالقيم العليا الثابتة أو الخروج عليها].

أساس القيم فى الإسلام:

التوحيد، التقوى، الإيمان بالله، الكرامة الإنسانية، الحرية، العلم، العمل، السلام بين الشعوب، التفاهم، الإخاء، التوازن بين القوى المادية والروحية، . . . إلى غير ذلك من قيم صالحة للتعامل مع كل شعوب العالم.





هى تلك الأحكام والسلوكيات التى تصدر من الفرد انطلاقًا من مجموعة القواعد والأحكام المستمدة من مصدر له تأثير (القرآن والسنة).

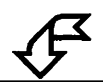
وهى بهذا تختلف عن العادات أو الأعراف أو التقاليد.

فالعادات:



هى مجموعة السلوكيات التى يمارسها الأفراد لفترة ما نتيجة التعود والتكرار.

والأعـراف:



هى العادات التى اعتادتها مجموعة من المجتمعات اتسعت دائرتها لمدة زمنية كبيرة.

والتقاليد:



هى مجموعة من العادات والممارسات السلوكية التى يمارسها الأفراد لفترة زمنية طويلة فى حيز أوسع وتتوارثها أجيال.

وعليه فالمطلوب هو المحتوى والمضمون الذى يملأ النفس (نفس الرمز) ويعطيها قدرها. فالرمز الذى يحيا بلا قيم فإن حياته ومنهاجها تكون هباءً تحكمها الأهواء فيجد عامة الناس رموزًا كبيرة -لدى الناس وليس عند الله- فجأة وقد تورطت أو وُرطت عن قصد منها أو اضطرار لتقاليد أو قانون فى قضايا فساد أو رشوة، فيندهش العامة ويتساءلون فيما بينهم: كيف يفعل الواحد منهم هذا وهو لا يحتاج إلى المال أو غير ذلك؟ ولكن إن كان القانون أو العادة أو العرف أو التقاليد تختلف عن القيمة أو القيم التى يدعو إليها الإسلام فلا علاقة للرمز بها، وهذا فعل النبى ﷺ؛ فقد قال

النبى : «أيها الناس، من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا منه مخيطًا فما فوقه فهو غلٌ يأتى به يوم القيامة» رواه أبو داود.

وإن نسينا فلا يمكن أن ننسى موقفه من الرجل الذى جاء إليه وكان عاملاً له على مصر من الأمصار وقال له: هذا لكم وهذه هدية أُهديت إلىَّ». فقام النبى على الفور ليوضح الفارق بين الهدية والرشوة ليقول له: «فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك» رواه مسلم.

ولأن الفارق واضح لدى الرموز النقية فنجد مثالاً على ذلك هو:

- ما روى فى موطأ الإمام مالك فى كتاب المساقاة: أن رسول الله كان يبعث عبدالله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر فجمعوا له حليًا من حلى نسائهم فقالوا له: هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسم، فقال عبد الله بن رواحة: «يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلىّ وما ذلك بحاملى على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض» نعم، صدقوا وهم الملعونون المخادعون.

بهذا تستقيم السماوات والأرض بالقيم على أن يعى الرمز الفارق

- فى واقعة هجرة المسلمين للحبشة دروس وعبرة أهمها: لماذا أمرهم النبى بالذهاب إليها؟ لأنها أرض صدق وبها ملك لا يُظلم عنده أحد، أليست هذه قيم وأخلاق ثابتة يجب ألا تتغير عندما تتصادم مع مواقف؟ وبالفعل اصطدمت هذه القيم مع قريش عندما بعثت وفدًا للنجاشى من رجلين جلدين ذوى قوة وشدة، هما عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى وعمرو بن العاص السهمى وجمعوا له هدايا محببة لمجتمعه، ولم يتركوا من بطارقته وحاشيته أحدًا إلا أهدوا له هدية وكل ذلك قبل الكلام معه فى الأمر، وجهزوا البيئة المحيطة حوله وعليه لتكون سندًا لهم فى فعلتهم بما فى ذلك سؤال النجاشى للمسلمين عن قولهم فى عيسى ابن مريم عليهما السلام، ففى المرة الأولى رفض النجاشى وقال: لا والله إذن لا أسلمهم

إليهما ولا أخشى أن يلحقنى فيه كيد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواىّ حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى.

وفى المرة الثانية والمحاولة القاتلة بالطعن فى عيسى ابن مريم وأن المسلمين يقولون فيه قولاً عظيمًا وأنه عبد وتأكيد هذا من سورة «مريم» على لسان جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فتناخرت (أى تكلمت) بطارقته حوله غضبًا مما سمعوه وتأكيد النجاشى ذلك فقال لهم: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيُوم بأرضى (آمنون) من سبكم غُرِّم، ثم من سبكم غُرِّم، فما أحب أن لى دبرًا ذهبًا وإنى آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسان أهل الحبشة الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه.

انظر لهذا الموقف وما فيه من قيم واضحة لا تتغير بتغير الموقف السياسى فالحاجة هنا لا تبرر الوسيلة المستخدمة ولا قول «لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة».

القيم الأساسية لا تنفصل عن المجتمع:

أما إذا ما واجه مثلاً رمز سياسى تقليدًا برلمانيًا معينًا فى دولته بأن عليه الجلوس طبقًا لنوعية معينة وترتيب ما أو جلسة افتتاحية لها تقاليد برلمانية ما، فهذا لا شأن ولا ضرر فيه طالما لا يتعارض مع القيمة المستمدة من القرآن والسنة.

وعند وجود لائحة عمل ما للعمل النقابى عليه الاستناد إليها والرجوع إليها عند الاختلاف فهذا ما ينظم العمل، ولنا فى فعل الرسول ﷺ أسوة حسنه فعندما رأى النبى رأيًا فى أمر تلقيح نخيل المدينة وأبلغه للصحابة وقال: لو فعلتم كذا وكذا.

وجاء محصول النخيل نتيجة هذا الفعل أقل من محصول العام السابق فكلموا النبى فى هذا فقال لهم (فيما معناه) : **إنما كنت أقول رأيًا، فإن أبلغتكم أمرًا من الدين فخذوه، وإن كان أمرًا من الدنيا فأنتم أعلم بأمر دنياكم**(*) .

كما أنه ﷺ لم يغير من عادات وأعراف وتقاليد الجاهلية فى مجتمعه قبل الإسلام إلا ما تعارض مع قيم الشرع الحنيف؛ فقد قام بتغيير عادات وتقاليد مثل لعب الميسر والخمر والربا والزنى (أو ما كان يسمى لديهم بأنواع من الزواج)، وإباحة زواج الأب من زوجة ابنه بالتبنى وأبطل توريث زوجة الأب عند وفاته أو الزواج بها . . . إلى غير ذلك من الشرائع التى غيرها الإسلام وأوضحها فى القرآن والسنة، لماذا؟ . .

لأنها تتعارض مع قيم أساسية فى الإسلام .

أما ما لا يتعارض فلا حرج فيه أن يظل كما هو حتى وإن لم يكن من مجتمع النبى ﷺ ولكنه لا يتعارض . مثال ذلك : «ما رُوى عن ابن عباس عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله بيت ميمونه فأُتى بضبٍّ محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللاتى فى بيت ميمونة : أخبِروا النبى بما يريد أن يأكل منه، فقالوا : هو ضبٌّ، فرفع رسول الله يده . قال : قلت : أحرام هو يا رسول الله؟ قال : لا، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه . قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر» رواه أبو داود .

هذه القيم على المجمل كانت فعل النبى مع الصحابة فى محضن الأرقم بن أبى الأرقم؛ فقد كان يزكى أرواحهم وهم الرعيل الأول بالعبادات كالصلاة والصيام وغيرها للتربية الروحية الحسنة ثم التربية على مكارم الأخلاق وتنقيتها من الرذائل فالأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وهى الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة فى داخل الضمير فحسب وإنما هو عمل سلوكى ظاهر كذلك بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملى أو حين ونرى عكسه أن نتساءل : أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك؟

(*) نص الحديث فى مسند ابن ماجه/ كتاب الرهون رقم ١٤٧١، فهرس مسلم/ كتاب الفضائل رقم ٢٣٦٣ .

ومن معالم التربية على هذا الأمر الرمز يوسف عليه السلام ؛ فهو رمز سياسى لحاكم لديه هذه المعالم من القيم أبرزها القرآن الكريم فى مشاهد رائعة، كما يقول د. على الصلابى فى كتابه «السيرة النبوية -عرض وقائع وتحليل أحداث»: قال علماء الأخلاق والحكماء : لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين ورجال أعمال قائمين وفضلاء مرشدين هادين، لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة. فإن كان القائم بالأعمال نبيًا فله أربعون خصلة ذكروها كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته. وإن كان رئيسًا فاضلاً، اكتفوا من الشروط الأربعين ببعضها. وسيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين، ولقد جاء فى سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هديًا لاختيار الأكفاء فى الأعمال؛ إذ قد حاز الملك والنبوة، ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها اثنتى عشرة خصلة هى أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة وهى :

١- العفة عن الشهوات ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٢٤].

٢- الحلم عند الغضب ليضبط نفسه : ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ٧٧].

٣- وضع اللين فى موضعه والشدة فى موضعها : ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف : ٥٩-٦٠] فبداية الآية لين ونهايتها شدة.

٤- ثقته بنفسه بالاعتماد على ربه : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٥].

٥- قوة الذاكرة ليمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

٦- جودة المصورة والقوة المخيلة حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

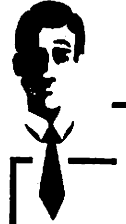
٧- استعداده للعلم وحبه له وتمكنه منه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٨- شفقته على الضعفاء وتواضعه -مع جلال قدره وعلو منصبه- فخاطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما بقوله: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٧] والثاني بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

٩- العفو مع القدرة: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

١٠- إكرام العشيرة: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

١١- قوة البيان والفصاحة بتعبير رؤيا الملك واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعى والرعية والسوقة، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على الحكمة والعلم: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].



١٢- حسن التدبير : ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف : ٤٧].



انظر إلى هذا الرمز السياسى، الحاكم، وما فيه من إيمانيات أوضحتها السلوكيات تدبر القيم الثابتة لديه والمتغيرة بتغير الأحداث.

بداية سورة يوسف مكية نزلت فى الوقت الذى كان رسول الله ﷺ يعانى الوحشة والغربة والانقطاع فى قريش وجاهليتها منذ عام الحزن وتعانى معه الجماعة المسلمة هذه الشدة فجاءت قصة يوسف لتعطى قيمة الصبر؛ فما يفعله معه مشركو مكة ليس بأكثر مما فعله إخوة يوسف مع أخيهم ثم محنة الرق والبيع كسلعة ومحنة امرأة العزيز والنسوة والسجن ثم محنة تولى السلطة والحكم والتحكم فيمن ظلمه حيث الفتنة والشهوة والسلطان . . أليست هذه كلها محن تحتاج إلى رمز كيس فطن لديه رصيد قيمى أو نسق قيمى (النسق القيمى هو مجموعة القيم المتناسقة والمتكاملة التى يمكن أن تكون الشخصية الإنسانية فى مرحلة عمرية معينة وبيئة معينة وفترة زمنية معينة، ولكل مرحلة عمرية نسق قيمى خاص بها، وكذلك لكل مجتمع، وكذلك لكل فترة زمنية معينه)* يستخرج منه عند الحاجة إليه أو التصادم مع الغير؟ وهذا ما حدث ليوسف عليه السلام؛ فقد خرج من الابتلاءات والفتن نقيًا خالصًا متجردًا متجهًا إلى ربه حتى مكّن الله له فى الأرض ولكن بعد توجيه وخطط محددة مرسومة الاتجاه.

- انظر لقيمة وخلق الحلم والعفة عن الشهوات الحرام والبعد عنها مخافه الله.

- انظر لقيمة الثقة فى الله والاعتماد عليه كما فى رمز الأم، أم موسى عليه السلام رمز لأمومة تثق فى الله عز وجل كما قال القرآن الكريم فى سورة القصص:

(*) للاستزادة فى هذا الأمر، يراجع للمؤلف كتاب «فن التعامل مع الشباب» ص١٣٢.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧].

هذه الآيات نزلت فى مكة عندما كان المسلمون فيها مستضعفين والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، نزلت لتعطى الميزان الحقيقى للقوى والقيم؛ حيث إن هناك قوة واحدة فى هذا الوجود هى قوة الله وأن هناك قيمة واحدة فى هذا الكون هى قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه ولو كان مجردًا من كل مظاهر القوة.

- انظر إلى قيمة اللين والشدة تتغير حسب الظرف والأولوية والأشخاص والهدف المراد منها.

- انظر إلى قيمة تدبير أخذ أخيه معه، وبقوانين عصره فقد كان معلومًا لدى مجتمعه أن السارق يكون عبدًا لمن سرقه، فاستخدم قانون المجتمع وقيمه -والتى لا تحدث ضررًا له فى دينه- ليضم إليه أخاه.

- انظر إلى قيمة الرحمة والعطف -مع عزيز منصبه وعلو قدره- ثم العفو عنهم جميعًا.

- انظر إلى قيمة إعداد الخطة المحكمة لإدارة البلاد وتأمين العباد فى الطعام، وهى قيمة متغيرة بتغير الزمان والمكان. ولكن العبرة أن يكون لدى الفرد خطط استراتيجية بعيدة المدى وأخرى تنفيذية تفصيلية تكتيكية قصيرة المدى لتنفيذ التخطيط الاستراتيجى.

-انظر إلى قيمة الكرم إن وجدت بالفرد الرمز وما يؤكده قول النبى ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يومه وليلته، الضيافة ثلاثة أيام وما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه» رواه أبو داود.

وعن عقبة بن عامر أنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم فما يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: « **إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم**» رواه ابن ماجه.

قال أبو داود: وهذه حجة للرجل يأخذ الشيء إذا كان له حق.

فهل تتخيل نفسك رمزًا فى مكانك وليس لديه قيمة ولا خلق الكرم؟

وتخيل نفسك ومن معك أو حولك يفقهون حقهم فيأخذونه منك. فكيف شأنك عندها وقد نزلت من عيونهم قدرك وسلطانك ونعتوك من خلف ظهرك بما لا تحب أن تسمع -وسوف تسمع شرًا عنك- أنك بك من سوء الخصال ما بك، لماذا؟ لأن الرمز لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

إن قيمة القيم الإسلامية الخالصة لهى الأساس الذى يُرجى -من بعد حسن الاختيار للرمز -أن تثبت فى شخصيته ووجدانه، فهى الإيمان والسلوك العملى الفطرى الذى عليه أن يتصرفه الرمز ويُظهر ذلك فى كل تفاعلاته ومعاملاته مع الغير ممن يرجون بسببه نصرًا من الله، فهو جند الله الغالب.

***



ثالثا: توعية الرمز بالثوابت والمتغيرات

بدايةً لتوضيح تعريف الثوابت والمتغيرات يقول الأستاذ جمعة أمين فى كتابه «منهج الإمام البنا- الثوابت والمتغيرات» : [الثوابت هى الأمور التى ينبغى أن تظل دون تغيير أو تبديل على مر الزمان واختلاف المكان، وهى بمثابة القواعد الحاكمة على الأفراد والإطار الضابط لسلوكهم وتصرفهم، والميزان الدقيق الذى لا يخطئ، والذى يتميزون به عن غيرهم. لهذا فإن الثوابت ليست مجال مساومة ولا مراجعة.

أما المتغيرات فهى الأمور التى يمكن أن يعتريها التبديل والتغيير والتأويل والتطوير، ويعتبر التغيير فيها أمرًا لا يُخرج الأصل عن استمراريته وخصائصه المميزة التى لا تمس أساسياته؛ فهى أمور مرنة لأن تغيير الزمان والمكان يحتاج مرونة وتكيفًا وتجاوبًا مع الاحتفاظ بالثوابت، والله عز وجل أودع فى الإسلام من الثوابت ما يضمن به الاستمرار ومن المتغيرات ما يكفل له بها الصلاحية والملاءمة لكل الظروف والأزمان].

فالثوابت مع المتغيرات استمرار بلا جمود، وتكيف بلا انحراف، وتجديد دون تحريف، وتطور دون تعطيل، وأصالة دون تفريط منهما، كوجهى العملة لا غنى لأحدهما عن الآخر.

فثوابت الإسلام واضحة وهى حافظة للمجتمع وللرمز الموجود فى هذا المجتمع من الهزات وهى أمر إلهى ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣] أى: اثبت على ما أنت فيه، وسر فى طريقك لا تحفل بما كان منهم وما يكون، سر فى طريقك مطمئن القلب إنك على الصراط المستقيم لا يلتوى بك ولا ينحرف ولا يحيد، ناموس الكون هكذا فى الثوابت فإن شذت المجتمعات عنه ضلت وأضلت وما المجتمعات الغربية منا ببعيد حتى وإن كانوا على تقدم ورفاهية ونمو، ولكن فى داخلها خراب ورعب ودمار نفسى يخلف الانتحار والاكتئاب والقلق ومن قبله الأمراض العضوية؛ لاختلال الثوابت أو عدم وجودها من الأساس أو الاعتراف بها.

الثوابت فى الإسلام واضحة من الكتاب والسنة، تحكم فكر ومعتقد كل من هو موجود فى وطن ومجتمع الرمز، تحكمها العقيدة التى لا خلاف فيها: الكفر والإيمان، الثواب والعقاب.

فإن قبل الرمز أن يعايش تقاليد وعادات وسلوكيات لا تتنافى مع معتقده وفكره وثوابته، فلا حرج فى هذا. ولكن إن مالت هذه التقاليد أو العادات فيما يتنافى أو يتعارض مع معتقداته وثوابته الدينية المستمدة من شريعة الله عز وجل، هنا لابد من تحكيم الثوابت، وليس كما يحلو للبعض أن يأخذ الأمر على علته كاملة بزعم أنها تقاليد وعلينا أن نتبعها. لا، هنا يجب أن يعى الرمز الفارق. ولكن عند الثوابت والابتعاد عن موروث التقاليد يجب أن يكون الأمر بالحيلة وباستخدام نفس القوانين والعادات الموجودة حتى لا يتسبب فى ضرر أشد. ولنا فى فعل النبى ﷺ قدوة حسنة فى عمرة القضاء وطوافه بالبيت الحرام ومن حوله الأصنام (وسيأتى هذا توضيحًا فى حينه)، مطلوب من الرمز هنا تطبيق الثوابت والالتزام بها بدون حجر على العقول أو جمود فى الفكر والتفكير.

أما فيما يتعلق بالمتغير فهى المعنية بالعقل والتفكر والتدبر والاجتهاد، ولنا فى الاختلاف الفقهى ما يؤكد ذلك ويطبقه، وفى هذا يقول عمر بن عبد العزيز: ما يسرنى أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً. وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا، كانَ فى الأمر سعة. وقال الإمام أحمد: الخلاف سعة. ويقول يحيى بن سعيد: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا، ولا يعيب أحد على أحد ما دام الجميع اجتمع على الثوابت واجتهد فى المتغير، وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحدد الثوابت الخاصة به عندما تولى الأمر من بعد رسول الله ﷺ وفى أول خطبة له قال: «أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم».

أى أن مصدر التشريع لديه هو الله ورسوله: القرآن والسنة والنبوية.

من القرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

فالحكم الشرعى المتعلق بثوابت وشئون الحياة هو القرآن. ثم المصدر الثانى لمعرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية (السنة النبوية) لأحكام القرآن.

إذن الشريعة فوق الجميع يخضع لها الحاكم والمحكوم، ولهذا قيد الصديق طاعته التى طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله.

ثم يقول أبو بكر: «فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى».

هنا يقر ثابتًا بحق الأمة وأفرادها فى الرقابة على أعماله ومحاسبته عليها، وفى مقاومته إن تخلف عن هذا الثابت وارتكب منكرًا. ويبقى السؤال: ولماذا هذا التوضيح من أبى بكر؟ لأن عصر النبوة قد انتهى والوحى انقطع والسلطة الدينية المستمدة منه - وهو النبى- قد انتقل إلى معية وجوار الله عز وجل. وعليه فمن الطبيعى أن يخطئ الحاكم وعلى الأمة حينها أن توجهه بوعى للرجوع إلى الثوابت. فإن لم يعد، تتم محاسبته.

وفى ثابت آخر يعلنه أبو بكر ويقول: «الضعيف فيكم قوى عندى حتى أُرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله» مبدأ العدل والمساواة بين الناس حتى يقام النظام ويستقيم، لابد من عدل الإسلام فلا ظلم ولا جور لأحد، يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ثم ثوابت أخرى مثل: الصدق أمانة، والكذب خيانة، والتمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك حتى لا تذل، وإعلان الحرب على الفواحش. وفى النهاية قام بتحديد كيفية إدارة الشئون الداخلية للبلاد من تنظيم وتعيين (وهذه أمور تنفيذية).

هذه الثوابت لم يتم الخروج عنها تمامًا فى عهد أبي بكر. أما المتغيرات، فمنها ما حدث من عمر بن الخطاب عندما أسقط نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة، وهذا

لسبب وحكمة وهى أن الإسلام أصبح عزيزًا قويًا بعد أن كان ضعيفًا فى عهده الأول، عمر بن الخطاب رأى هذا فى عهد أبى بكر الصديق عندما كان وزيره وفعل، وقال هذا لمن أراد نصيبه من قطعة أرض للمسلمين ورمى كتابهم فى وجوههم وعندما عاد القوم لأبى بكر على أنه المسئول الأول وليس عمر، أقر أبو بكر عمر بن الخطاب -رضوان الله عليهما- على فعلته وقال لهم: هو الخليفة لو أراد.

وهذا أبو بكر الذى وعى موقف عمر بن الخطاب من مصارف الزكاة ومنهم المؤلفة قلوبهم، تجده فى ثابت آخر وهو حروب الردة له طبيعة ثابتة من خطاب الحكم، فقد أشار بعض الصحابة -ومنهم عمر- على الصديق بأن يترك مانعى الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق عن ذلك ورفض تمامًا، يقول عمر رضى الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن حق الزكاة حق المال. والله لو منعونى عناقًا (وهو الأنثى من ولد الماعز) كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، وفى رواية «والله لو منعونى عقالاً» (وهو الحبل الذى يعقل به البعير).

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق، والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعًا فى قتال أهل الردة.

نقاش الصديق وعمر هنا لإبراز بيان الثوابت إن لم يعلمها أحد، كما أن أبا بكر أوضح لعمر من دليله المستند إليه ما لم يره حينها؛ فقد احتج عمر بحديث النبى ﷺ ولكن فى كلمة (بحقها: أى حق الإسلام) وهذا ما بينه أبو بكر له، حق الإسلام ولو كان حبلاً أو حق للرسول ولو كان ماعزًا صغيرًا.

لماذا هذا الثابت والإصرار عليه؟

.. لمصلحة الإسلام والمسلمين.

فالرمز حين يتمسك بالثوابت لا يتمسك بها لمصلحته الشخصية أو المستقبلية له ولعائلته أو المقربين إليه، وإنما لمصلحة الإسلام والمسلمين. أما ما يتعلق بالضرر الشخصى الراجع عليه من تمسكه بهذه الثوابت فأجره على الله وثوابه يُرتجى منه.

- وها هو موقف حبيب بن زيد الأنصارى -رضى الله عنه- عندما سلّم رسالة رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ثابت ثابت لا يتغير، عندما قال له مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم. فيقول له: أوتشهد أنى رسول الله؟ فيقول: أنا أصم لا أسمع . ففعل ذلك مراراً وكان فى كل مرة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه يقتطع من جسمه عضواً ويبقى حبيب محتسبًا صابراً إلى أن قطّعه إربًا إربًا، فاستُشهد -رضى الله عنه- بين يدى الملعون مسيلمة لم تتغير ثوابته.

- وهناك أيضًا موقف الصحابى عبد الله بن حذافة السهمى لما تم أسره لدى الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له: تنصّر وأنا أشركك فى ملكى وأزوّجك ابنتى، فقال له: لو أعطيتنى جميع ما تملك وجميع ما تملك العرب أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت، فقال: إذًا أقتلك، قال أنت وذاك، فأمر به فصُلب وأمر الرماة فرموا قريبًا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأُنزل ثم أمر بقدر فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يُلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له: ما أبكاك؟ قال: إنما بكيت لأن نفسى هى نفس واحدة تُلقى فى هذه القدر الساعة فى الله فأحببت أن يكون لى بعدد كل شعرة فى جسدى نفس تُعذّب هذا العذاب فى الله.

فقال الملك: فقبّل رأسى وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معى جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ به فقبّل رأسه(*).

(*) انظر: ابن كثير، وسير أعلام النبلاء.

لم يتنازل الصحابى الكريم عن ثوابت الدين العقائدية، ولما لم يتنازل أتاه نصر الله كما يقول: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

أما ما يتعلق بالمتغيرات حينها فلم ير الصحابى ما يضير لو قبّل رأس الملك ليحرر أسرى المسلمين، وقد يتصرف آخر فى موقف وبيئة مختلفة بعدم التنازل، ولن يختلف عليه الناس لكونها مرتبطة بالتفكر والتدبر والاجتهاد.

- موقف عمر بن الخطاب من عادة المصريين عند وفاء النيل أن يختاروا إحدى الفتيات البكر ويزينونها بأجمل الحلى وأفضل الثياب ويُلقون بها فى النيل ليجرى. فلما قَدم عمرو بن العاص إلى مصر وأخبره أهلها بذلك قال لهم: إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله. وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فأرسل إليه بطاقة كتب فيها: «من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك». وأمره أن يلقى بها فى النيل فجرى وانقطعت تلك العادة السيئة يومها.

ثابت من ثوابت العقيدة: التطهير من تقاليد الشرك والجاهلية.

بدون مجاملة أو مسايرة مع الغير.

- بعث ريتشارد قلب الأسد برسالة إلى صلاح الدين الأيوبى جاء فيها:

من ريكاردوس قلب الأسد ملك إنجلترا إلى صلاح الدين الأيوبى ملك العرب، حامل خطابى هذا باسل صنديد لاقى أبطالكم فى ميادين الوغى وأبلى فى القتال البلاء الحسن وقد وقعت أخته أسيرة فقد كانت تدعى (مارى) وصار اسمها (ثريا)، وإن لملك إنجلترا رجاء يتقدم به إلى ملك العرب وهو: إما أن تُعيدوا إلى الأخ أخته وإما أن تحتفظوا به أسيرًا معها لا تفرقوا بينهما ولا تحكموا على عصفور أن يعيش بعيدًا عن أليفه.

وفيما أنا بانتظار قراركم بهذا الشأن، أذكّركم بقول الخليفة عمر بن الخطاب -وقد سمعته من صديقى الأمير حارث- وهو: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

فرد عليه صلاح الدين برسالة مفادها التالى: من السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى ريكاردوس ملك الإنجليز، أيها الملك: صافحت البطل الباسل الذى أوفدتموه رسولاً إلىَّ، فليحمل إليكم المصافحة مما عرف قدركم فى ميادين الكفاح.

وإنى لأحب أن تعلموا بأننى لم أحتفظ بالأخ أسيرًا مع أخته لأننا لا نُبقى فى بيوتنا سوى أسلاب المعارك، لقد أعدنا للأخ أخته وإذا ما عمل صلاح الدين بقول عمر بن الخطاب فلكى يعمل ريكاردوس بقول عندكم: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فرد أيها الملك الأرض التى اغتصبتها إلى أصحابها عملاً بوصية السيد المسيح عليه السلام فى خضم الحرب المستعرة بين المسلمين والصليبيين.

رسالة لتحرير أسيرة.. قد يقول قائل: لا، هى أسيرة، غنيمة، ولنا ولديهم مثلها، ليس هذا بعدل. وقد يقول آخر: رسائل متبادلة بين الطرفين وكأن دماء المسلمين رخيصة. وقد يقول ثالث: الآن نأسر ذلك الأخ ونبادله بمسلمين آخرين.

لم يقل أحد شيئًا وإن قال فهى وجهات نظر لا نتعارك عليها أو بشأنها، ولم يقل أحد إن هناك خيانة ومؤامرة من جانب صلاح الدين وموالاته لملك إنجلترا.

بل كما قال النبى ﷺ: **«أنتم أعلم بأمر دنياكم»** رواه مسلم.

ولا تنس فعل النبى عندما قال للسيدة عائشة عندما سألته لمَ لا يُعيد بناء الكعبة ليضم إليها ما انتقص منها فى الجاهلية؟ قال ﷺ: **«لولا أنَ قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم»**. رواه البخارى.

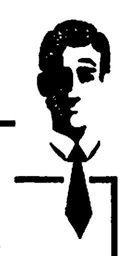
الآن.. يجب ألا ننسى:

يجب تحديد الثوابت التى لا خلاف عليها وهى واضحة من الكتاب والسنة.

ثم الثوابت المتعلقة بالفكر المرتبط به الرمز (وهى قابلة للتغيير والتعديل مادامت

ليست قرآنًا أو سنة نبوية فثوابت الصين الشيوعية تغيرت فى طريقة التنفيذ فأصبحت شيوعية التفكير رأسمالية التنفيذ، كما أن ثوابت الأحزاب الاشتراكية فى أوروبا تغيرت فأصبح حزب العمال الذى ينادى دومًا بالحفاظ على مكتسبات العمال وحقوقهم هو الذى يُتم عملية خصخصة القطاع العام البريطانى، كما تغيرت فى تركيا المعاصرة فكرة الحزب الإسلامى من عهد أربكان إلى أردوغان وعبد الله جول وكيف يتم الوصول إلى الهدف بتركيا المسلمة بثوابت المسلمين بتغيير ثوابت الحزب دون تغيير ثوابت الدين، ولكن ما تم ويتم تغيير الاستراتيجية المناسبة).

ثم المتغيرات التى من الممكن أن يلاقيها فى حياته العملية ويطور فيها أو يعدلها حسبما يرى أو يخضع للظروف المحيطة به).



رابعًا: الرمز هو الفكرة والفكرة إياه:

«إنما يتعثر من لم يخلص»

يقول عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

ويقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

ويقول الرسول ﷺ: **«إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»** رواه مسلم.

إن الاستدلال السابق وغيره الكثير في القرآن والسنة ليدل على أن الإخلاص أساس للإنسان في الأعمال كلها؛ لأن سنة الله في خلقه أن سيادة الإنسان وسعادته في هذه الأرض ونجاته غدًا بين يديه سبحانه وتعالى لن تكون إلا بالعمل كما مضت سنته وجرى قدره. ومطلوب من الإنسان الجمع ما بين:

١- الصلاح:

أي أن يكون العمل وفق ما شرع الله حتى لا يتخبط الإنسان ويضيع عمره هباءً منثورًا.

٢- الإخلاص:

أي أن يكون العمل مرادًا به وجه الله تعالى؛ بحيث إذا زالت الإمكانات البشرية وعجزت عن الوصول بالإنسان إلى المراد كان العون والمدد والتأييد الرباني. لذا لابد من استحضار النية عند كل عمل وأن تكون هذه النية خالصة لله تعالى. وقد وسُئل النبي ﷺ من عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو. فقال: **يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابرًا محتسبًا بعثك الله صابرًا محتسبًا، وإن قاتلت مرائيًا مكاثرًا بعثك الله مرائيًا مكاثرًا يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قُتلت بعثك الله على تلك الحال»** سنن البيهقي.

- ولكن فى عمل الرمز فى مجتمعه المهنى قد يجد أن بعض الأمور قد تكون منافية للإخلاص إن قام بها، فيجب أن تحدد هذه السلوكيات من قبل حتى إذا دخلت فى العمل وأتيت بها لا تجد عليك مناصًا من أدائها أو الامتناع عنها (مثل تنقية الشوائب).

- فإذا كنت فى مجال من الضرورى فيه الاهتمام بالمظهر يجب حسم هذه القضية فالظهور أمام الناس بالمظهر الحسن فى البدن والثوب وغيره لا ضرر فيه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

أما إن كان الرجل يفعل هذا مُظهرًا رياءً فهذا لا خلاف عليه أنه تعثر فى الإخلاص.

-الإتيان ببعض الأعمال لبث روح القدوة والتأسى به، ففى حديث النبى ﷺ أنه قال: «**من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام...**» رواه مسلم.

هذا وإن لم يكن الأمر مبيتًا من قبل وبنية ستجد صعوبة فى اتخاذ قرار سريع وحتى لا تدخله الشوائب.

- الإعلان عن النفس لتولى وحمل مسئولية بعض الأعمال التى تدرك تمامًا أنك تستطيع أداءها بحنكة ومهنية أكثر من غيرك، وخاصة إذا خلت الساحة أو الميدان من المتطوعين لحمل هذه المسئولية، ولنا فى هذا موقفان:

الأول:

سيدنا يوسف عليه السلام حين قال للعزيز ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥].

يقول **صاحب الظلال**: «هنا الأزمة قادمة، وسنوات الرخاء التى تسبقها تحتاج إلى حفظ وصيانة وقدرة على إدارة الأمور بالدقة، وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها فى حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بجميع فروعه الضرورية لتلك المهمة فى

سنوات الخصب وفى سنى الجدب على السواء. ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التى يرى أنه أقدر عليها وأن وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة. ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض. إنما كان حصيفًا فى اختيار اللحظة التى يُستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذى التبعة الضخمة فى أشد أوقات الأزمة وليكون مسئولاً عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع. فليس هذا غنمًا يطلبه يوسف لنفسه، إنما هى تبعة يهرب منها الرجال».

وقد قال الفقيه الأندلسى الطرطوشى فى موقف يوسف عليه السلام: «إن ما حصل بين يدى ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفونه فخاف على نفسه أو أراد إبراز فضله: جاز له أن ينبههم عن مكانه وما يحسنه دفعًا للشر عن نفسه أو إظهاراً لفضله فُيجعل فى مكانه. وفيه فائدة أخرى وهى أنه رأى الأمور فى يد الخونة واللصوص ومن لا يؤدى الأمانة ويعلم من نفسه أداء الأمانة مع الكفاية جاز له أن ينبه السلطان على مكانه ويخطبه خطة القضاء».

طلب حمل الأمانة لأنه يريد إنقاذ موقف وتفادى ضرر، ولم يخدش أحداً فى نيته أو إخلاصه.

الثانى:

موقف خالد بن الوليد لما أُرسل مددًا للجيش الإسلامى فى اليرموك وجد الجيوش متفرقة: جيش أبو عبيدة، جيش عمرو بن العاص، جيش يزيد، شرحبيل بن حسنة فقام خالد فى الناس خطيبًا فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف فاجتمع الناس وتصافوا وخطب خالد فيهم فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«إن هذا يوم من أيام الله لا يبغى فيه الفخر ولا البغى، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا اليوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدًا، فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدًا والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعونى اليوم إليكم»(*) فأمروه عليهم.

طلب حمل الأمانة لأنه يريد إنقاذ موقف وتفادى ضرر ولم يخدش أحدًا فى نيته أو إخلاصه.

- بقى أمر أخير وهو أن يُجبَر الرمز على التعاون مع أفراد يعلم هو علم اليقين عدم صدقهم أو صدق نواياهم ويعوقونه أكثر مما يتعاونون، إلى حين، ثم التخلص منهم فهؤلاء لا يصلح أن تتعاون أو تتعامل معهم أكثر مما تصبر عليهم عملاً بالمؤلفة قلوبهم وسنة التدرج و. . . إن وجدت (بدون تعجل أو تراخٍ) أنهم أهل نفاق أو شوائب لا يسيرون على نفس النهج ولا إخلاص فى قلوبهم مع الجهد المبذول منك ناحيتهم لإصلاح الأمور فلابد منك من تنحيتهم عن الطريق حتى لا يكونوا هم الحاجز الذى يحجز أشكال النصر والتمكين والسكينة والطمأنينة.

يقول الأستاذ البنا رحمه الله: «إن الإخلاص أساس النجاح، وإن الله بيده الأمر كله، وإن أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وطهارة أرواحهم وذكاء نفوسهم وإخلاص قلوبهم وعملهم عن عقيدة واقتناع، جعلوا كل شىء وقفًا عليها حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم وعقيدتهم بنفوسهم فكانوا هم الفكرة وكانت الفكرة إياهم، فإن كنتم كذلك ففكروا والله يلهمكم الرشد والسداد، واعملوا والله يؤيدكم بالمقدرة والنجاح. وإن كان فيكم مريض القلب معلول الغاية مستور المطامع مجروح الماضى فأخرجوه من بينكم؛ فإنه حاجز للرحمة حائل دون التوفيق».

(*) البداية والنهاية لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الجزء ٧.

وقديمًا قال ابن الجوزى : «إنما يتعثر من لم يخلص» .

ويقول التابعى الربيع بن خيثم : «.. كل ما لا يراد به وجه الله: يضمحل» .

فاحذر أيها الرمز من:

التعثر..

الاضمحلال..

حاجز الرحمة.

***



خامسًا: تربية الرمز على الصبر والثبات

لكل ميلاد مخاض، والمخاض لا يكون إلا بآلام ومعاناة، ومن ينتظر الميلاد لابد له من أن يدرب نفسه على الصبر.

والثبات فى اللغة:

يقال: يثبت ثباتًا وثبوتًا، وثابت وتثبت فى الأمر والرأى واستثبت:

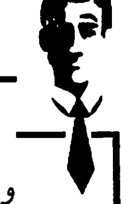
تأنى فيه ولم يعجل، وتثبيت الفؤاد: تسكين القلب، ورجل ثبت: ثابت القلب.

والثبات: عزم وإرادة جازمة على سبيل الدوام والاستقرار، والثبات درجة أعلى من التصميم.

- **ومن معانى الثبات لدى الرمز:**

- الصبر وتحمل الأذى فى الشدائد والمحن.
- الثبات فى المعارك النفسية والسياسية والحرب الإعلامية وعدم الفرار أو الهرب.
- مواصلة طريق الإيمان بالهدف أو الفكر وعدم الشك والريبة أو الانقلاب أو الردة عن الفكر[1].

(١) فى إحدى البلدان العربية فى النصف الأخير من القرن الماضى قرر رمز الدولة ورئيسها التخلى عن الفكر الاشتراكى وإحلال النظام الرأسمالى محله فما كان منه وبمساندة رئيس وزرائه إلا أن غيروا فقط اسم الاتحاد الاشتراكى إلى الاسم الجديد الحزب.... وتحول كل أعضاء الاشتراكية السابقون إلى أعضاء في الحزب الجديد بدون أية معارضة أو تفهم، حتى إنه بعد سنوات من هذا الأمر عندما قرر البلد اللجوء إلى إجراء إصلاحات اقتصادية وخصخصة للقطاع العام كان الذين يتولون مسئولية هذا الأمر هم من لهم باع ومؤلفات طويلة فى منهج حتمية الحل الاشتراكى... ولا تعليق.



- ثبات القلب على الحق والقيم الإسلامية وثوابتها والإيمان بالحجة والبرهان.

- الاستقرار والمداومة على العمل ورفض المساومة.

- التأنى وعدم الاستعجال.

- الطمأنينة وسكون القلب.

ويجب أن يعلم الرمز أن:

- الحق ثابت على مر الزمان؛ حيث يقول عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]. فما يمكن أن يكون افتراء وقد نزله جبريل عليه السلام من ربك لا من عندك، لا يتلبس به الباطل ليثبت الذين آمنوا الموصولة قلوبهم بالله فهى تدرك أنه من عند الله فتثبت على الحق وتطمئن إلى الصدق، هدى وبشرى للمسلمين بما يهديهم إلى الطريق المستقيم وبما يبشرهم بالنصر والتمكين.

ولابد من وجود الفئة الثابتة على الحق حتى يأتى أمر الله؛ ففى الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك**» [رواه البخارى].

- الناس تختلف فى الطبائع والتصورات والأفهام والعقول مع تنوع الوظائف والحاجات ولكن ميزان الله ثابت ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والحق هنا هو كتاب الله الذى ينطق بالحق وهو القول الفصل والحكم العدل، وبغير هذا الميزان الحق الثابت تتعدد المناهج والتصورات ولا ينتهى الخلاف.

وليس الرجال ولا الرموز أو الرؤساء أو المسئولون هم الذين يضعون الحق؛ فالعقول تختلف، والحق لا يُعرف بالرجال، ولكن الرجال تُعرف بالحق وبمدى التزامهم بالميزان الحق الثابت الصادر من الله عز وجل.



والمطلوب هنا هو..

الثبات على الحق.

- الثبات على الحق هو طريق الرمز الذى اختاره له الله ؛ فهو طريق الفطرة وطريق الأنبياء والتابعين لهم بإحسان.

- من يخالف طريق الله ولا يتمسك بالحق لمصلحة خاصة أو منفعة أو بغض (مثل الكافرين والمنافقين وكما كان أبو جهل يعلم أن النبى رسول ولكنه يجحد ويحقد على النبى ﷺ) فهو من أعداء الله، كما أنهم -أى أعداء الله- لا يرضون للرموز المؤمنة النقية أن تثبت على الحق، فهذا يؤرقهم ويكشف زيف دعواهم وتصرفاتهم.

- الله عز وجل قد يفتح طريق نور لمن يظن الرمز أنهم لن يتبعوا الحق ولكنهم يهتدون إليه بفضل الله وقوته كما فى موقف سحرة فرعون الذين كانوا طامعين فى المكافأة، فلما تبين لهم الحق جليًا تركوا الباطل. فعلى الرمز ألا يتوقف عن دعوة غيره لفكره طالما أنه على القيم الإسلامية والثوابت الجلية الواضحة.

- الصراع دائم وسيظل هكذا لأنه صراع بين الحق والباطل بين الثبات والزاهق وهى سنة الله الثابتة على مر الزمان «العاقبة للمتقين». ولكن مطلوب الثبات؛ لأن الثبات نصر وفى حديث النبى لابن عباس: (**استعن بالله ولا تعجز واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك....**) [رواه الترمذى] إلى آخر الحديث وفى رواية فى مستدرك الحاكم (. . . . واعلم أن مع العسر اليسر).

- الثبات هبة من عند الله فقد يظن الرمز أنه قادر قاهر على أن يُنزل بمخالفيه الهزيمة فهو بطل صابر ثابت على المبادئ، ولكن هذا غير صحيح؛ فأنت لا يمكنك الصبر والثبات إلا إذا استعنت بالله ولجأت إليه بالدعاء أن ينصر ويثبت ما أنت عليه وهذا كان قول رموز الحق عندما تقابلوا مع الباطل، يقول عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

انظر إلى التعبير ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ : أى أن الصبر فيض من الله يفرغه على الفرد فيغمره وينسكب عليه سكينة وطمأنينة واحتمالاً للهول والمشقة.

ثم : ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ : أى أنه في يده عز وجل التثبيت فلا يجعلك تتزحزح أو تتزلزل أو تنحرف. ثم : ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ : وضح الموقف لماذا نطلب فيض الصبر والتثبيت منك يا صاحب الأمر، الإيمان مقابل الكفر، المؤمن يطلب من الله وهو على موقف الحق من الحق للنصر على الباطل : سلامة القصد ووضوح الطريق.

ولتأتى النتيجة المرتقبة اليقينية : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ : وليجيء النصر بأسباب الله التى لم يكن يتخيلها فرد من الجماعة فالكل أخذ بالأسباب من اختيار القائد والإذعان له ثم عرضهم الرمز (طالوت) لاختبار شرب الماء من النهر ليمحص الصابرين الثابتين ويجعلهم وهو فى خندق واحد ويفصل عن جماعته غير الصامدين لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقهم لأنهم بذرة هزيمة وهوان وخذلان؛ فالجيش ليس بالعدد الضخم ولكن بالقلب الصامد والإرادة الجازمة والإيمان الثابت المستقيم على الطريق. وبعد كل هذا يأتى النصر ممن؟ من فتى صغير هو (داود) يغلب ملكًا قويًا قائدًا جبارًا غشومًا (وهو جالوت) وهذه هى مشيئة الله عز وجل : أن تعرف أن الأمور لا تجرى بظواهرها، وإنما تجرى بحقائقها يعلمها هو ومقاديرها في يده هو وليس عليك إلا أن تنهض بواجبك وتفى بما عاهدت الله عليه



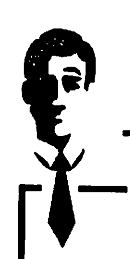
إذن، نتيجة الثبات نصر الله عز وجل لأن وعد الله عز وجل كما قال فى كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[الأنفال : ٤٥].

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن : ١٦، ١٧].

وما موقف الصحابى عبد الله بن حذافة السهمى منا ببعيد حين ثبت وظفر بالنتيجة.



من لوازم الثبات:

١- الصبر:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. أي: احبس نفسك معهم بدون تسخط أو شكوى مع انتظار الفرج.

ثم ٢- الاستقامة:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢] والطغيان هنا هو الخروج، سواء بالإفراط أو التفريط، بالزيادة أو النقصان. وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه...» مسند الإمام أحمد.

ثم ٣- السكينة والطمأنينة:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فالرمز الثابت على الطريق، المؤمن يشعر بالاستقرار عندما يكون في معية الله، الرمز المؤمن قلبه صادق، ساكن.

ثم ٤- الاعتصام:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

ثم ٥- الدعاء:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الله أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة حتى أنه يرد القضاء.

ولنا في غزوة بدر ما يفيد الرمز فى الثبات والصبر .

- النبى ﷺ أخذ بالأسباب وبحث عن الجديد فى المعركة واستشار أصحابه ونصح البعض (الحباب بن منذر) بتغيير المكان واستجاب النبى ﷺ وابتكر أسلوبًا جديدًا لم ين معروفًا من قبل وهو نظام الصفوف ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤]، وجمع المعلومات من الغير وبنفسه هو وأبوبكر الصديق ودرّب الصحابة على متى يكون الرمى ومتى تسل السيوف والاقتصاد فى الرمى، واستفاد من الظروف الطبيعية أثناء القتال وفروق التوقيت بسبقه لمكان المعركة قبل قريش والشمس والريح والتضاريس الجغرافية . . . إلي غير ذلك من أمور الرمز القائد في الحرب(*) ثم :

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

تحريض ، حث على القتال ومعه الصبر لتنال ما ترغب .

- ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

- ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١] السكينة والاطمئنان من الله في موقف عصيب .

- ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم ... ﴾ [الأنفال : ٩]. الدعاء لزوم النصر .

- ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، ثم يقول عز وجل : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا .... ﴾ .... ثم : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٣ - ١٢٦] بيان

(*) يراجع فى هذا كتاب «السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث»، د. على الصلابى، ص٣، الجزء الثانى.

الواقع الفعلى فلم يكن مع المسلمين على قلة العدد إلا القليل من العدة وكان وراء المشركين لا تزال لهم قوتهم مع منافقين لهم مكانتهم ويهود يتربصون بهم.

وهذا هو الواقع اليوم لأى رمز من الرموز فى كل مكان من بقاع الأرض تجده قليلاً وإمكاناته البشرية والمادية قليلة ومنافسيه الذين على غير الحق كثر وقواهم المادية والبشرية عالية مع منافقين من بنى جلدة الرمز، قد تكون قلوبهم معه ولكن بالتأكيد سيوفهم مع أعدائه والحاقدين من اليهود وأعوانهم وأحلافهم، فما المخرج يا رب؟

فإذا اتقى الرمز الله عز وجل وخاف الذى يملك النصر والهزيمة والقوة والسلطان والحول أنعم عليه سبحانه وتعالى بالنصر والتمكين.

- كيف يتحقق هذا؟ الثبات والصبر ومن ثم النصر من رجال مؤمنين صادقين: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٣].

والبديل لعكس هذا، أى لن يتم النصر أن:

- تجد رجالاً رموزًا غير صادقين على ما تم التعاهد عليه.

- تجد رجالاً رموزًا بهم خلل فى عدم الثبات واستعجال النصر.

- تجد رجالاً رموزًا يختبرون الله عز وجل إن نصرهم الله ينصرونه وهذا محال قال المسيح عليه السلام للرب أن يختبر عبده وليس للعبد أن يختبر ربه أى «إن تنصروا الله ينصركم» وليس «إن ينصركم الله تنصروه».

انظر إلى نوح، رمز في الثبات على هدفه، ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه مع تكذيب واستهزاء وسخرية وأذى.

انظر إلى ثبات النبى على أذى قومه وهو يقول لعمه أبو طالب: «**.... يا عم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته**» ثم يوم أُحد وما ناله من أذى، ويوم آخر صعب عليه أشد من

أحد هو يوم الطائف فيقول ﷺ: «**لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد وأُخفت فى الله وما يخاف أحد**».

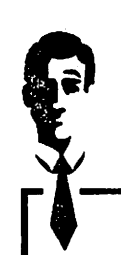
وماذا قال لهم عندما آتى بعض من المسلمين وهو خباب بن الأرت يشكو إلى رسول الله التعذيب الذى يناله ويقول: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ ماذا قال؟ قال: «**... والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» رواه البخارى.

ولعل فى حديث أسر «خبيب بن عدى» في قريش عندما بيع بمكة واستعار موسى ليستحد به فدرج بُنى لهم وأمه غافلة حتى رأته على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وفي رواية: ما كنت لأقتله وما نستحل فى ديننا الغدر. ثم يخرجون به ليقتلوه فيصلى ركعتين ويدعو عليهم ويقول:

فلست أبالى حين أُقتل مسلمًا   على أى جنب كان لله مصرعى

ما جزع خبيب وما استكان وعندما عرضوا عليه أو ساوموه على أن يرجع عن دينه أبى وقال: لا والله ما أحب أنى رجعت عن الإسلام وأن لى ما فى الأرض جميعًا. وفي رواية: قالوا له لئن لم تفعل لنقتلنك، قال: إن قتلى فى الله لقليل.

يقول الأستاذ البنا رحمه الله: «اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر... إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفًا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل... قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها.. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب.. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها، فلست معه، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات.. ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف، فأجره فى ذلك على الله ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين، إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة».



سادساً: وجوبية العمل الجماعى «الكل للواحد والواحد للكل»

لا شك أن قناعات الرمز بالقيم الإسلامية والثوابت والمتغيرات مع إخلاص القلب، مهمة جداً فى تنشئته. ولكن إن كانت فى عقله وقلبه فقط ولم تتحول إلى الناس، والتفاعل معهم، فهى ذات منفعة قليلة. وإن لم تثمر عملاً جماعيًا ينتفع به الناس، فما جدواها؟

إن العبرة هنا ليست بكون الرمز رجلاً أو سيدة.. صالحًا من عدمه؛ فمهما بلغ صلاح الفرد وتقواه وإدراكه لحقائق الأمور فمن المهم أن يكون ما يؤمن به أو يتراسل به أو يتعايش به مع الآخرين فى ظل عمل جماعى منظم، فما جدوى أن يكون هناك عدد كبير من الناس ذوو قيم واضحة نقية مخلصون فى أهدافهم لله عز وجل، كل واحد منهم مع نفسه لا يضمهم تحالف أو اتحاد أو أى شىء ينتظمون فيه وينظمون من خلاله الصفوف ويرتبون عن طريقه الأولويات الخاصة بالعمل؟! حقيقة إن لم يكن يحدث هذا فلا جدوى بل الكل خاسر.

يقول عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١، ٣] الاستثناء هنا لمن؟ الذين تواصوا بالحق والصبر مجموعة من الناس (الذين) وليس (الذى).

كما أن الإيمان له قيمة وهى أنه حركة وعمل وبناء وتعمير، يتجه إلى الله، ليس انكماشًا وسلبية وانزواء وليس مجرد النوايا الطيبة التى لا تتمثل فى حركة.

كما أن التواصى بالحق ضرورة، والنهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة. منها ما هو شخصى ومنها ما هو مرتبط بالبيئة المحيطة.

والتواصى بالصبر لحراسة الحق والعدل ضرورة، ومن أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ولابد من الصبر، ولن تصبر أنت ومن معك إلا إذا كان هناك إحساس بوحدة الهدف ووحدة المتجه ومساندة من الجميع مع حب وعزم وإصرار... كل

هذا من معانى العمل الجماعى، وليس العمل الجماعى وفقط، بل العمل الجماعى المنظم المبنى على قيادة مسئولة وقاعدة مترابطة ومفاهيم واضحة.

ولابد لأى مهنة أو تخصص أو فكر أو اتحاد أو ترابط -أيًا كان المسمى- لابد له من قائم يقوم عليه لكى يحقق أهداف هذا الكائن لتحقق أهدافه التى يسعى الجميع إليها. أى: رمز لهذا الكائن، وقد قيل قديمًا: «الدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، ومن لا حارس له فضائع» فلا إسلام بدون عمل جماعى ولا عمل جماعيًا بدون رمز لهذا التجمع.

ومن المزايا التى تعود على الرمز من العمل الجماعى:

*- سوف يتخلص من السلبيات الموجودة فى شخصيته، بل وسينمى الإيجابيات الموجودة به. فلو كان منفردًا، فهو فى عمى عن عيوبه مقيمًا عليها. أما فى حالة وجوده وسط تجمع تحكمه قيم واحدة وثوابت لا تتغير فسيكون الغير له مرآة عن نفسه يصلح بها عيوبه طبقًا لحديث الرسول: «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن....» سنن البيهقى.

*- سوف يعينه العمل الجماعى على إصلاح نفسه، فقد يجد الرمز بنفسه عيوبًا ولكنه لا يستطيع أن يعالجها منفردًا حيث ضعف الإرادة والهمة وهوان العزيمة، هنا يتدخل الجمع من حوله لانتشاله والأخذ بيده.

ولعل فى الحديث الذى رُوى عن أبى جحيفة -رضى الله عنه- ما يوضح الأمر، إذ قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبا الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل فإنى صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان الليل ذهب من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن

فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه. ثم أتى النبى: فذكر ذلك له، فقال النبى: صدق سلمان» [رواه البخارى].

من عرّف أبا الدرداء بما هو فيه وبجلاء واضح وبين؟

أخوه، زميله، مساعده، نائبه، . . . عرضها وعرفها له ليعالج نفسه منها، وإن عجز عن عيوبه ساعده فى التخلص منها.

فهى رحمة للرمز ولو انفصلت عنه لظل طوال حياته غارقًا فى آفات وعيوب شخصية ولا يحقق تقدمًا أبدًا فى مجتمعه.

*- سوف يتم توظيف طاقات الرمز حسب ما يتمتع به من مهارات وإمكانات شخصية، كما أنه سوف يتم تزويده بكثير من الخبرات التجارب التى تعينه على مواجهة الصعاب المحتمل والأكيد أنه سوف يواجهها.

فماذا كان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص قبل إسلامهما.

كانا قائدين محليين ومع سعة الإسلام وتوظيف النبى لقدراتهما العسكرية أصبحا فى سجل الخالدين، تجد النبى ﷺ بمجرد إسلامهما وبعد فترة وجيزة يجهز النبى ﷺ جيشًا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل وتحت إمرته من الصحابة والمهاجرين من هو أسن منه (ومنهم أبو عبيدة بن الجراح وكان مددًا له). هذه الفترة حوالى أربعة أشهر.

وفى مؤتة وبعد استشهاد القادة الثلاث وسقوط الراية من يد عبد الله بن رواحة والتقطها ثابت بن أقرم الأنصارى ونظر إلى خالد بن الوليد وقال: خذ اللواء يا أبا سليمان فقال: لا آخذه، أنت أحق به، أنت رجل لك سن فقدت شهدت بدرًا، فقال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك. فأخذه خالد بن الوليد.

ثم لما جاءت حروب الردة واشترك فيها المسلمون، كان هذا الاشتراك وكأنه إعداد عملى لما هو آت حيث الفتوحات الإسلامية للفرس والروم، فظهرت فى حروب الردة القدرات وتفجرت الطاقات واكتُشفت قيادات ميدانية وتفنن القادة فى الأساليب والخطط الحربية وبرزت مؤهلات للجندية صادقة منضبطة واعية لماذا تقاتل

وعلى ماذا تقاتل ولماذا تبذل وتضحى حتى قيل لخالد بن الوليد ذات مرة من أحد قادة الروم: هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟

وفى رسالة من الصدّيق إلى أبى عبيدة يخبره بتولية خالد عليه ويأمره فيه بالسمع والطاعة وبيان سبب تولية خالد يقول: «أما بعد، فإنى قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره فإنى وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة فى الحرب ليست لك. . . . .».

الرمز الحصيف الذكى هو الذى يوظف مهاراته وإمكاناته ويكون له رصيد تراكمى من الخبرات التى تعينه فى التغلب على عقبات آتية للنجاة من المخاطر.

* سوف يُضخ الأمل والنشاط فى قلب وعقل الرمز كل لحظة، من منا وإن كان عالى الهمة لا تفتر همته بعد زمن قل أم زاد؟! كل الناس، ولكن كل من حول الرمز من الجمع يبعث الأمل فى نفسه، يرفع همته، يذكّره بفضل الثبات، يذكره بالنصر القادم والتمكين، يجدد نشاطه ويقوى عزيمته ويعلى همته فيضاعف من جهده وعطائه.

فبينما الطريق طويل عليه ← يقصر.

وبينما الأعباء ضخمة عليه ← تخف.

وبينما مشاق العمل عليه ← تهون.

وبينما العقبات كئود عليه ← تتفتت وتذوب.

وفى النهاية يعان على أداء واجبه

* وإن لم تجد جماعة تعينك على أداء هدفك، فكن رمزًا بمفردك، كن صاحب همة لوحدك، ولوحدك وبنفسك يمكن أن تصنع ما تريد، فهذا المدعو (هيوستن) وقف ذات مرة أمام الكونجرس الأمريكى يخطب خطبة بليغة بعد أن نجح فى تسكين

ثائرة الهنود الحمر ودفعهم نحو توقيع اتفاقية مع الحكومة، استدعاه الرئيس الأمريكي لما وجد ما لديه من ملكات لغوية بارعة وقال له: إن تكساس تتبع المكسيك ومَستقبل أمريكا متعلق بها ولا بد من ضمها وأريدها منك، فقال هيوستن: نعم أنا لها، زودني بالمال والرجال.

قال الرئيس: لو كان عندى مال ورجال ما دعوتك، بل تذهب منفرداً وبلا دولار واحد وأبعث معك حارسًا حتى تعبر نهر المسيسبى ثم يعود.

ومع ذلك قَبلَ المهمة، ودعه الحارس على ضفة النهر واندفع نحو تكساس فلما دخل أول مدينةَ بها فتح له مكتب محاماة فكان المدعى فى المحكمة يخرج متهمًا والمتهم بريئًا لبلاغته وقوة لسانه حتى انبهر به الناس وتلاعب بمفاهيمهم وألبابهم وغرس فيهم معنى ضرورة الاستقلال عن المكسيك، وأنشأ حركة أتمت الاستقلال ثم غرس معنى وجوب الانضمام إلى الولايات المتحدة طواعية بالقناعات التى غرسها هيوستن، وجاء بعد سنوات قليلة إلى الرئيس الأمريكي وسلمه مفتاح تكساس بدون طلقة رصاص واحدة ولم يصرف دولاراً واحدًا، فشكره الرئيس وأطلق اسمه على مدينة هيوستن تخليداً لعمله الجليل.

سنوات حتى وصل لهدفه، صنع من نفسه رمزًا حتى حقق هدفه.

وما موقف مصعب بن عمير بقليل بل إنه كبير وكبير بإذن الله؛ إذ استطاع- عندما بعثه النبى إلى المدينة ليعلّم الأنصار الإسلام- أن يُدخل المدينة كلها فى الإسلام إلا رجلاً واحداً أسلم يوم أحد، فماذا كان مع مصعب من سلاح؟ لم يكن معه سوى حفظه للقرآن الكريم، لباقة، هدوء، حسن خلق، حكمة عالية، قوة إيمان، حماسه، همة عالية.

كل هذا مكّنه -بفضل الله عز وجل- من أن ينشر الإسلام خلال أشهر فنجح فى:

- شرح تعاليم الدين الجديد.
- تعليم القرآن الكريم وتفسيره.
- تقوية الروابط الأخوية بين الأطراف المتصارعة.



سابعًا: الجدية التامة:

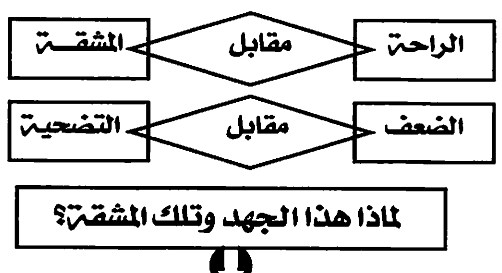
نعم إنها ☜ الجدية التى هى ضد الهزل والتهاون.

إنها ☜ الجدية التى هى ضد الضعف والتخاذل والرخاوة.

إنها ☜ إنفاذ وتنفيذ التكاليف (أيًا كانت طبيعتها حسب المهنة ومن ضمنها التكاليف الشرعية) توًا مع المثابرة والدأب وتسخير كل الإمكانات المتاحة لإنجازها، مع مغالبة الأعذار والمعوقات والعراقيل التى تعترض سبيلها.

يقول عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

إنها كفتا ميزان، الأولى بها المطامع واللذات، والكفة الأخرى بها الثوابت: حب الله ورسوله وحب الجهاد بكل مشقاته وما يتبعه من تعب ونصب وتضييق وحرمان وألم وتضحية.

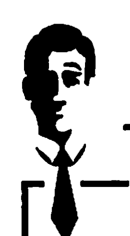


لتنتقل من مقعد النقل إلى موقع العمل.

لتتحرك للأحداث لتأخذ بزمام الأمور.

لتؤمن بدورك فى الحياة مستعينًا بربك.

كل ذلك دون أن تعبأ بالمعوقين أو تتأثر بالعوام.



ولكن كيف للرمز أن يحقق الجدية التامة فى عمله؟

إن لذلك خطوات واضحة لابد منها وهى:

١- الفورية فى التنفيذ:

وتراها كاملة على أكمل وجه عند تحريم الخمر لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

فما أن نزلت وحملها الصحابة إلى إخوانهم وهم يشربون حتى كفّوا فورًا واستجابوا لأمر الله وقالوا: انتهينا . . . انتهينا.

- وتراها فى تحويل القبلة مثلاً رائعًا على الاستجابة الفورية؛ حيث تحوّل المسلمون فور سماع الخبر وما زالوا فى صلاتهم وتبدلت مواقع الإمام والرجال والغلمان والنساء من الشمال إلى الجنوب. والسؤال: لماذا هذا التحويل؟ يقول عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- وتراها كذلك فى موقف نساء الأنصار من آيات الخمار. . فما أن انقلب الرجال إلى البيوت يتلون كلام الله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] حتى قمن لتوهن إلى مروطهن لشقها والتلفح بها حتى جئن الصلاة فى الفجر وكأن على رءوسهن الغربان، لم تتلكأ واحدة فى الامتثال للأمر.

٢- القوة والعزم:

- بالرجوع إلى الرمز عمر بن الخطاب عند هجرته يقف متحديًا قريش قائلاً: «إنى مهاجر، فمن أراد أن تثكله أو تتأيم امرأته أو يتيم ولده فليتبعنى» فلم يجرؤ أن يراجعه أحد.

- وهؤلاء الأبطال المغاوير من الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين خرجوا لغزو حمراء الأسد وقد أثخنتهم الجراح وفقدوا الظهر فى غزوة أحد بالأمس أو منذ سويعات قليلة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله، بل قاموا بقوة الأبطال وعزم الرجال لملاحقة المشركين حتى كان الأخف جرحًا يحمل أخاه الأثقل إصابة.

- وهذا العملاق الرمز الفذ جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنه- فى غزوة مؤتة تُقطع يمناه التى تحمل الراية فيرفعها بيسراه، فتلحق هى الأخرى بأختها، فيختضنها بعضديه حتى تظل خفاقة مرفرفة ما بقيت فيه عين تطرف.

وأنت إذا قيل لك أمرًا..

بنسبة كم فى المائة تؤديه بقوة وعزم؟

٣- تسخير كل الإمكانات المتاحة:

كل الإمكانات من نفس ومال وولد وأهل وكل ما يملك المرء.

- انظر إلى الصديق وقد أتى بماله كله ويقول: تركت لهم الله ورسوله، وعمر بن الخطاب بنصف ماله.

- وهذا عثمان يجهز جيشًا كاملاً فى غزوة العسرة (تبوك).

- وهذا مصعب يترك حياة الترف كلها ويرضى بالقليل وإن شئت فقل: بأقل القليل ويهاجر ويكون سفير الدعوة ويجاهد وأخيرًا يلقى الله شهيدًا حتى تأثر بموته وما يرتديه النبى ﷺ ويشهد له بالترف قبل الإسلام.

- وهذه المرأة الصالحة التى لم تجد ما تقدمه لنصرة دينها فتدفع بصبيها الصغير إلى ساحة القتال وتعطيه سيفًا وتقول له: ادفع به الأذى عن رسول الله فلا يقوى على حملة فتربطه فى ساعدته ثم تقف تراقبه وقد امتلأت فخرًا فإذا به يتلقى إصابة تتفجر



على إثرها دماؤه فينظر إليها رسول الله قائلاً : لعلك جزعت . فترد : لا والله يا رسول الله ، كل مصيبة دونك جلل (أى تهون) مصنف بن أبى شيبة .

وأنت إذا قيل لك أمر مطلوب به تسخير إمكاناتك المتاحة.. بعد كم من الزمن فى التفكير ترد وتستجيب أو توافق ثم تنفذ؟

٤- مغالبة الأعذار:

ويقصد بها : الأخذ بالعزائم والحرص على أداء الواجب والمشاركة فيه مهما كانت الظروف .

فهذا عمرو بن الجموح -رضى الله عنه- يريد أن يخرج للجهاد فيمنعه أبناؤه لأنه أعرج فيصر فيخبره رسول الله بالرخصة فيقول الصحابى : لعلى أطأ بعرجتى هذه الجنة .

وقد كان .

وهذا الكهل الذى التحق بكتائب الجهاد وقد تدلى حاجباه وانحنى صلبه فقال له شاب : يا عماه ، قد وضع الله عنك وعن أضرابك الجهاد ، فرد الرجل باكيًا : يا بنى ، لم أجد الله أعفى أحدًا حين قال : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [النور : ٤١] .

ولعل أبو أيوب الأنصارى وهو فى الثمانين من عمره يجاهد لموقف يحتاج منا إلى وقفة .

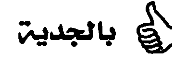
وأنت إذا كان لديك عذرٌ وتستطيع أن تغالبه . . بعد كم من الوقت تتغلب به على نفسك وتأخذ بالعزم وليس بالرخصة؟

إنها الجدية وشروطها . إنها صفة أساسية من صفات الرموز وخلق لازم لهم؛ حيث تطبع بصماتها وتتحلى مظاهرها فى جل المواقف والأحوال ، وهى لأصحاب المكانات فقط كما قال الله عز وجل : ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢] .

الكتاب هو التوراة ، وقد ورث يحيى أباه زكريا ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانه فى قوة وعزم وبدون ضعف أو تهاون أو تراجع عن تكاليف الوراثة .







أيها الرمز:



بالجدية ⬅ ستنشر ما تريد من أفكار.



بالجدية ⬅ ستبلغ رسالتك.



بالجدية ⬅ ستؤدى التكاليف والواجبات.



بالجدية ⬅ ستتغلب على العقبات والمشقات.



وبدون الجدية ⬅ تذبل شجرة التقدم والتطور.



وبدون الجدية ⬅ تخبو الراية.



وبدون الجدية ⬅ تبدد الجهود المبذولة.



وبدون الجدية ⬅ تضيع الأمانات، ويتقدم الباطل، ويتراجع الحق.

وبدون الجدية ⬅ يكون التأثير فى الآخرين بالقدوة السيئة.

وبالنظر إلى رمز (مؤمن آل فرعون) لما سمع بتآمر فرعون وجنده على قتل موسى عليه السلام فتحرك على الفور وحاورهم قائلاً ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

واستمر فى الحوار حتى انفرد بالقيادة على عدوه ثم أعلن صراحة موقفه بعد ذلك قائلاً: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٣٨] فانتقل من موقع النقد إلى موقع العمل والعاملين ولم يفته أن يبلغ موسى عليه السلام بالمؤامرة ليأخذ حذره، وقد كان، ونجاه الله من فرعون وجنده الطغاة.

كان جاداً مستشعراً حمل المسئولية، لم يقل: أنا فرد واحد وجند فرعون ومخابراته كثيرة وقد أطال بأذى وربنا يحميه ويحفظه(القصد هنا لموسى عليه

السلام) . . . . . تحرك وقاد الفعل وكان معه عذره، ولكنه التغلب على الأعذار والمعوقات، ولم يتأثر بمن حوله من عوام أو مؤثرات باطلة.

وفى مثال آخر على الجدية فى العصر الحديث ما رُوى فى منتصف القرن الماضى عندما بعثت اليابان أولادها للتعلم، كان هناك طالب أسمه (أوساهير) بعثته حكومته للدراسة فى ألمانيا، يقول: لو أننى اتبعت نصائح أستاذى الألمانى الذى ذهبت لأدرس عليه فى جامعه هامبورج لما وصلت إلى شىء، كانت حكومتى قد أرسلتنى لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، كنت أحلم بأن أتعلم كيف أصنع محركًا صغيراً، كنت أعرف أن لكل صناعة وحدة أساسية أو ما يسمى (موديل) هو أساس الصناعة كلها. فإذا عرفت كيف تصنع، وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها.

وبدلاً من أن يأخذنى الأساتذة إلى معمل أو مركز تدريب عملى أخذوا يعطوننى كتبًا لأقرأها وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها، ولكننى ظللت أمام المحرك أيًا كانت قوته وكأننى أقف أمام لغز لا يُحل، وفى ذات يوم قرأت عن معرض محركات إيطالية الصنع، كان ذلك أول الشهر وكان معى راتبى. وجدت فى المعرض محركًا قوة حصانين ثمنه يعادل مرتبى كله فأخرجت الراتب ودفعته ووضعته على المنضدة وجعلت أنظر إليه كأننى أنظر إلى تاج من الجوهر وقلت لنفسى: هذا هو سر قوة أوروبا، لو استطعت أن أصنع محركًا كهذا لغيرت تاريخ اليابان. وطاف بذهنى خاطر يقول: إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى: مغناطيس كحدوة الحصان وأسلاك وأذرع دافعة وعجلات وتروس وما إلى ذلك، لو أننى أستطعت أن أفك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التى ركبوها بها ثم شغلته فاشتغل أكون قد خطوت خطوة نحو سر (موديل) الصناعة الأوروبية. وبحثت فى رفوف الكتب التى عندى حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات وأخذت ورقًا كثيراً وأتيت بصندوق أدوات العمل ومضيت أعمل، رسمت المحرك بعد أن رفعت الغطاء الذى يحمل أجزاءه، ثم جعلت أفككه قطعة قطعة، وكلما فككت قطعة رسمتها على الورقة بغاية الدقة وأعطيتها رقمًا، وشيئًا فشيئًا فككته كله، ثم أعدت تركيبه، وشغلته فاشتغل.

كاد قلبى يقف من الفرح، استغرقت العملية ثلاثة أيام كنت آكل فى اليوم وجبة واحدة ولا أصيب من النوم إلا ما يمكننى من مواصلة العمل.

وحملت النبأ إلى رئيس بعثتنا فقال: حسنًا ما فعلت، الآن لابد أن أختبرك سآتيك بمحرك متعطل وعليك أن تفككه وتكشف موضع الخطأ وتصححه وتجعل هذا المحرك العاطل يعمل. وكلفتنى هذه العملية عشرة أيام عرفت أثناءها مواضع الخلل؛ فقد كانت ثلاث من قطع المحرك بالية متآكلة صنعت غيرها بيدى بالمطرقة والمبرد. بعد ذلك قال رئيس البعثة الذى كان يتولى قيادتى روحيًا.... قال: عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ثم تركبها محركًا، ولكى أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد وصهر النحاس والألومنيوم بدلاً من أن أعد رسالة الدكتوراه كما أراد منى أساتذتى الألمان، تحولت إلى عامل ألبس بذلة زرقاء وأقف صاغرًا إلى جانب عامل صهر المعادن، كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم حتى كنت أخدمه وقت الأكل مع أننى من أسرة ساموراى ولكننى كنت أخدم اليابان وفى سبيل اليابان يهون كل شىء. قضيت فى هذه الدراسات والتدريبات ثمانى سنوات كنت أعمل خلالها ما بين عشر ساعات وخمس عشرة ساعة فى اليوم، وبعد الانتهاء من العمل كنت آخذ نوبة حراسة وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

وعلم (الميكادو) (الحاكم اليابانى) بأمرى فأرسل لى من ماله الخاص خمسة آلاف جنيه إنجليزى ذهبًا اشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة وأدوات وآلات، وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت فوضعت راتبى وكل ما ادخرته وعندما وصلت إلى ناجازاكى قيل لى: إن (الميكادو) يريد أن يرانى، قلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملاً، استغرق ذلك تسع سنوات وفى يوم من الأيام حملت مع مساعدى عشرة محركات (صنع فى اليابان)، قطعة قطعة حملناها إلى القصر ودخل (الميكادو) وانحنينا نحييه وابتسم وقال: هذه أعذب موسيقى سمعتها فى حياتى، صوت محركات يابانية خالصة. هكذا ملكنا الموديل وهو سر قوة الغرب تنقلناه إلى اليابان. نقلنا قوة أوروبا إلى اليابان ونقلنا اليابان إلى الغرب.



جدية وهمة تجدها فى أفراد وبدون أن تبث فيهم مجتمعاتهم بثًا مباشرًا (حتى وإن كان) هى مسؤلية فردية .

انظر إلى الإعلان التالى وهو المكتوب على لوحة كبيرة فى مراكز التبشير الغربية :

«أيها المبشر الشاب : نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير . إننا ندرك بأنك لن تجد فى عملك التبشيرى إلا التعب والمرض ، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن فى كوخ فقير . أجرك كله ستجده عند الله إذا أدركك الموت وأنت فى طريق المسيح كنت من السعداء» .

كلمات تحرك تخصصات فى الطب والجراحة والصيدلة للذهاب إلى الصحارى القاحلة التى لا يوجد فيها إلا الخيام والمستنقعات المليئة بالنتن والميكروبات ، والمكوث هناك السنين الطوال دون راتب ودون منصب ، ولو أراد أحدهم العمل بمؤهله لربح ألوف الدولارات ولكنه ضحى من أجل هدف (أيًا كان معتقده وصحته) بجدية ودون أعذار .

فماذا قدمت أنت فى تخصصك؟

وبماذا ضحيت أنت فى تخصصك؟

***



ثامنًا: من قاد نفسه فقد قاد العالم (القدوة)

من طبيعة الإنسان أن يتأثر بمن يُعجب به أو بمن يملك عليه لبه ويستولى على عقله، من أولئك النفر الذين يرى فيهم تفردًا فى الناس وتفوقًا فى خصال الرجولة وملامح العظمة وسمات القيادة. فالضعيف مولع بتقليد القوى، والمغلوب يهوى أن يتشبه بالغالب. وهذا هو المطلوب من الرمز أن يكون قويًا، غالبًا، رجلاً حتى يصدق فيه قول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالرجال فلاح

وفى حديث النبى يقول: **«مثل العالم الذى يُعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه»** صحيح الجامع الصغير.

الرمـــز

قدوة..يضىء للناس ويحرق نفسه.

ولأن الكأس الزجاجية الرقيقة تخبر عما تحوى كما قال الإمام الشافعى رحمه الله: «والماء يخبر عن قذاة زجاجة» فكذلك فساد السلوك دليل على فساد السريرة، وكما يقول الشافعى: من سمع بأذنه صار حاكيًا، ومن أصغى بقلبه كان واعيًا، ومن وعظ بفعله كان هاديًا؛ ذلك أن الفعل القليل يغنى عن القول الكثير.

إن الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله

وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله

وكذا الغنى هو الغنى بحاله ... ليس الغنى بملكه وبماله

وقالوا أيضًا:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

والرمز مأمور بأن يكون قدوة، يقول عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن منا لا يرجو الله واليوم الآخر؟

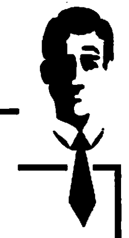
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

يقول على بن أبى طالب: «من نصّب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم».

ويقول عثمان بن عفان: «أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام أقوال».

ولذا إن نجح الرمز فى أن يكون قدوة لغيره يكن من أسهل الوسائل لنجاح مشروعه أو فكره. حيث يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه «منهج التربية الإسلامية»: [القدوة فى التربية هى أفضل الوسائل جميعًا وأقربها إلى النجاح، من السهل تأليف كتاب فى التربية، من السهل تخيل منهج وإن كان فى حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول. ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ويظل معلقًا فى الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك فى واقع الأرض ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ. ولقد علم الله سبحانه وهو يضع ذلك المنهج العلوى المُعجز أنه لابد من ذلك البشر لابد من قلب إنسان يحمل المنهج ويحوله إلى حقيقة لكى يعرف الناس أنه حق ثم يتبعونه لابد من. . . قدوة ولذا بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. . .].

وتأكد -أيها الرمز- أن حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة تكمن فى نفوس البشر أجمع هى التقليد، وهى رغبة ملحة لدى الإنسان. فإن لم يجد القدوة الحسنة جرى سريعًا نحو القدوة السيئة.



• وحتى تكون قدوة فى موقعك.. رمزًا يحتذى بك، لابد من:

- **الإيمان بالفكرة القائم عليها أو المسند إليك أمرها**، يجب أن تؤمن بفكرتك إلى حد الاعتقاد، وعندها فقط يؤمن بها الآخرون. وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة. ألم تر إيمان النبى بالدعوة إلى الله وإصراره عليها؟

- **تعلُّم العلم الخاص بالفكرة أو التخصص**، فالرمز القدوة هو أكثر الناس حاجة لتعلم العلم الذى سيقتدى الناس به، يقول عمر بن الخطاب: «تعلموا قبل أن تسودوا»؛ فالسيادة فى الأمر تحتاج إلى علم يتأكد فيه الرمز القدوة من صحة خطواته ويصحح فيه خطوات الآخرين.

- **حسن الخلق**، فلم يقرب من منزلة القدوة إلا من حاز من الأخلاق ما أهله لأن يصل إلى هذه المنزلة. إلا أن هناك أخلاقًا بارزة يحتاج إليها القدوة الرمز دائمًا وبغيرها يصبح عسيرًا عليه النجاح فى لم الناس وجمعهم عليه والتعامل مع ثقافاتهم والفروق النفسية المتعددة بينهم ومن أهمها: الصبر والرحمة والتواضع وأدب الاختلاف وغيرها.

- **موافقة العمل للقول**، فإن فاتك هذا الفعل ساءت سيرتك وصرت منفرًا للناس عن فكرتك وأعمالك المبتغاة المنشودة. وليس هذا وحسب، بل يجب عدم الانقطاع عن عمل ما كان يأمر به دون مبرر أو نسيان حتى لا يدخل فى دائرة الذين يقولون ما لا يفعلون أو عدم جدية الأمر وأهميته بالنسبة إليه.

- **التثبت من صحة ما يقول من كلام**؛ فهو قدوة لأنه مثال يحتذى به. فإذا كان القدوة لا يتثبت مما يقول، يكون المقتدون كذلك، ومن الأكيد أنهم سوف يقعون عندها فى إحدى الدائرتين: التفريط أو الإفراط.

- **الترفع عما فى أيدى الناس**، عندها سيحبك الناس. وهذه درجة عالية فى المجاهدة.



• وفى نماذج لرموز اقتدى الناس بهم:

- سُئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال: كان والله أفضل من أن يُخدع وأعقل من أن يخدع، وهو القائل: لست بخب، والخب لا يخدعنى.
- سُئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى فقال: كان أشبه الناس علانية بسريرة وسريرة بعلانية، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره، يا له من رجل استغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم واحتاجوا إلى ما فى يديه من دينهم.
- جاء العبيد إلى الحسن البصرى يشكون ظلم سادتهم وقسوتهم عليهم ورجوه أن يخطب فى الناس طالبًا الرحمة واعتاق رقابهم وانتظروا أن يتكلم فى الجمعة المقبلة واعظًا الناس بذلك ولكنه ترك هذا الأمر زمنًا طويلاً حتى يئس العبيد، وفجأة تكلم فى هذا الموضوع وأمر الناس بتحرير العبيد وفك رقابهم فاستجاب الناس واعتقوا عبيدهم. فذهبوا إلى الحسن يسألونه: لماذا سكت هذه المدة الطويلة؟ فقال رحمه الله: لو أنى أمرت الناس حين جئتمونى لما استجابوا لى لأنى آمرهم بما لم أقدر على فعله، فانتظرت هذه المدة حتى تيسر لى مال فاشتريت به عبيدًا ثم أعتقتهم، فلما أمرتهم بذلك أسرعوا واستجابوا لأنى أمرت بما فعلت.

وفى الشافعى رمز العلم

كان لتلاميذه رأيهم فى أستاذهم؛ فهو يركز على الجانب العملى فى حياته فأثر فيهم كثيرًا ورأوا ملامح العظمة وموطن القدوة تبرز من هذا الجانب فيقول..

• أبو عبيدة بن سلام:

ما رأيت أحدًا أعقل ولا أروع ولا أفصح ولا أنبل رأيًا من الشافعى.

• الزعفرانى:

ما رأيت مثال الشافعى أفضل ولا أكرم ولا أتقى ولا أعلم منه، وما رأيته لحن قط، وكان يُقرأ عليه من كل شعر فيعرفه، وما حمل أحمد محبرة إلا وللشافعى عليه منة، وما كان الشافعى إلا بحرًا.

• الكرابيسى:

ما كنا ندرى ما الكتاب والسنة والإجماع حتى سمعناه من الشافعى، وما رأيت مثل الشافعى، ولا أرى الشافعى مثل نفسه، وما رأيت أفصح منه ولا أعرف.

ما رأيت مجلسًا قط أنبل من مجلس الشافعى: كان يحضره أهل الحديث وأهل الفقه وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر، فكل يتكلم فيه.

• البويطى:

رأيت الناس والله ما رأيت أحدًا يشبه الشافعى ولا يقاربه فى صنف من العلم، والله إن الشافعى كان عنده أورع من كل ما رأيته ينسب إلى الورع.

• يونس بن عبد الأعلى:

ما رأيت أعقل من الشافعى، ناظرته يومًا فى مسألة ثم افترقنا، ولقينى وأخذ بيدى ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق فى مسألة؟

• سعيد بن هارون:

ما رأيت مثل الشافعى قط، قَدم علينا مصر فقالوا: قدم علينا رجل من قريش فقيهًا، فجئناه وهو يصلى فما رأيت أحسن منه وجهًا ولا أحسن منه صلاة، فلما قضى صلاته تكلم فما رأيت أحسن منه منطقًا.

• الربيـــع:

رأيت الشافعى يوم أضحى واقفًا على درجة له يأمر الذابح بذبح أضحيته ويسمى الله ويكبر.

• السيدة نفيسة:

حُملت جنازته إلى السيدة نفيسة بنت الحسين وكانت فقيهة أديبة عالمة تُدرس الفقه والعلم والأدب من وراء حجاب، وكان للشافعى شرف التلمذة على يديها فصلّت عليه صلاة الجنازة وقالت: رحم الله الشافعى إنه كان يحسن الوضوء.



• أحد الطلاب:

ما رأيت أحدًا أقل صبًا للماء فى تمام التطهر من الشافعى .

عبارة «ما رأيت» تكرر على الدوام عندما يكون الفرد رمزًا

فهو

قدوة لأنهم يرون كل خصاله رأى العين.

هكذا يكون الرمز القدوة «سراجًا منيرًا» يساعد من حوله فى أن يسير على الصراط المستقيم المؤدى إلى الأمل المنشود بتقليد على بصيرة مستقاة من منهج صحيح له قيمه وأصوله الثابتة .

***



تاسعًا: أدب الاختلاف فى الرأى

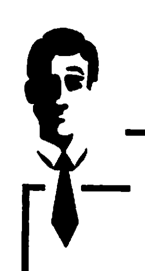
الاختلاف  هو التباين فى الرأى والمغايرة فى الطرح

وهو أن ينهج كل شخص طريقًا مغايرًا للآخر فى حاله أو فى قوله: ولما كان الاختلاف بين الناس فى القول قد يؤدى إلى التنازع، استُعير ذلك للمنازعة والمجادلة فقال عز وجل: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

والرأى كما فى اللغة هو الاعتقاد والجمع: آراء، أى ما اعتقده الإنسان وارتأه، تقول: رأيى كذا، أى: اعتقادى. والاعتقاد والعقيدة: ما عُقد عليه القلب والضمير، وما تدين به الإنسان واعتقده.

وبذلك فالرأى من شئون قلب الإنسان، وهو من أخص خواصه الذاتية الشخصية، فلا يحق لأى أحد أن يتدخل فى هذا الشأن بالقسر والقوة. كما أن التدخل فى هذه المنطقة المخرمة لا يجدى ولا يؤثر. فإذا ما حاولت أى قوة أن تفرض على الإنسان رأيًا أو تمنعه من رأى، فإنها لن تستطيع إلا إخضاعه ظاهرًا. أما قراره الداخلى وإيمانه القلبى، فيستعصى على الفرض والإكراه.

- والاختلاف بين الآخرين أمر طبيعى وضرورى. يقول ابن القيم فى إعلام الموقعين: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر وضرورى لابد منه؛ لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم. ولكن المذموم: بغى بعضهم على بعض وعدوانه. فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدى إلى التباس، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يضر ذلك الاختلاف؛ فإنه أمر لابد منه فى النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحدًا والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة، لم يكد يقع اختلاف وإن وقع اختلاف لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة».





والآن أيها الرمز:



لماذا ينشأ وسينشأ الاختلاف معك فى الرأى

ليس ذلك إلا لسببين:

الأول:

الاختلاف العلمى أو العقلى؛ حيث تنوع المذاهب المختلفة فى التفكير والمدارس الفكرية والمجتمعات والبيئات المختلفة، وهذا سبب صحى؛ ففى ظل عدم التنوع لا تنمو المجتمعات ولا الرجال ويصبح مجتمعك سقيمًا ورجاله ظلاً بدون أصل. وهذا التنوع وما ينتج عنه رحمة؛ فقد ورد عن الإمام مالك أنه قال: «اختلاف العلماء رحمة...»

الاختلاف هنا يثرى الأمر وينمو ويتوسع؛ لأن كل رأى يستند لرأى واعتبارات صحيحة.

الثانى:

حب الذات والمصالح الشخصية (الاختلاف المصلحى) وينشأ هذا النوع بسبب مصلحة الجهة أو المدرسة الفكرية أو الشخصى، ومنه تنشأ التمزقات والعداوات والفرقة، وتترتب عليه الآثار السيئة والسلبية، وهذا ما أشار إليه عز وجل فى قوله:
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

إذن الأول عقل وعلم ورحمة، والثانى هوى ومصلحة ونقمة.

بداية:

هل أنت متعلم؟

لا ليس العلم المدرسى أو الجامعى، وإنما هو علم هذه الأمة الإسلامية علم أمة النبى، أمة تقرأ، أى: مثقف، بمعنى: ليس لديك أمية فكرية ولا تعتمد على الثقافة

المعلبة سريعة التجهيز . فإذا كنت مثقفًا عالمًا بأمر ، فإن هذا يعنى أنك لديك جذور وأصول فكرية ، أى : تتكلم فى الأمور بالدليل العلمى (حتى وإن كان هناك رأى آخر له سند علمى آخر فهذا لا يضيرك) ، أى : تقع من عليك الأغلال التى تقيد عقلك وانطلاقه وحجبه عن الحقيقة ، ولا تكون صاحب استبداد فكرى .

ثانيًا:

الالتزام بالضوابط الأخلاقية مع صاحب الرأى الآخر؛ حيث:

- احترام الآخر وعدم السخرية أو التسفيه لرأيه ، وهذا من منهج النبى ﷺ فى التعامل مع الآخرين بل وحتى خارج المؤسسة الإسلامية الذين اتخذوا موقف عداوة مع الحق وضد الرسول .

- عدم إساءة الظن بالآخر ومحاكمة النية . فقد ورد فى الروايات أن النبى قال : **«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها فى الخير محملا»** .

ولعل حادثة أسامة بن زيد لرجل قال لا إله إلا الله عندما ملك رقبته وقتله وقول النبى ﷺ له : **«أفلا شققت عن قلبه...؟»** [رواه أبو داود] دليل على ذلك .

- عدم الغيبة للطرف الآخر بالتجريح لا لشىء إلا لكونه مختلفًا معك فى الرأى .

- عدم تصيد أخطاء الآخر وهفواته وتاريخه وعثراته ثم نشرها أو الاستفادة منها .

ثالثًا:

الالتزام بالضوابط العلمية مع صاحب الرأى الآخر؛ حيث:

- المعرفة التامة والدقيقة بكل جزئيات وحيثيات الأمر المطروح للاختلاف .

- القدرة على إبداء الرأى وتقدير آراء أخرى حتى لا تطلق الأحكام على عواهنها بدون سند علمى ، أو عندما لا يستطيع صاحب الرأى المعارض لك أن يُظهر حجته بقوة وتصبح منصفًا بموضوعية .

ولعل في موقف أبي حامد الغزالي حجة الإسلام موقفًا صحيحًا من الناحية العلمية حيث إنه قبل أن يحكم على آراء الفلاسفة كتب كتابًا باسم «مقاصد الفلاسفة» بعدما قرأ آراءهم وشرح مقاصدهم بطريقة لا تدع مجالاً للشك، ثم أعقبه بكتاب «تهافت الفلاسفة» كطريق علمي للحكم على الآخر.

- البحث عن الحقيقة بأن تكون هي الغاية المنشودة إليك؛ فهي ضالة المؤمن يأخذها متى وجدها.

رابعًا:

الالتزام بالضوابط الاجتماعية مع صاحب الرأي الآخر، حيث:

* التعايش الاجتماعي والتكيف وأقلمة النفس مع ظروف وبيئة مجتمع الآخر.

* عدم إسقاط الآخر اجتماعيًا؛ فإسقاطه أو تنحيته عن المجتمع الذي تعمل به ضار بالمكان الذي أنت رمز له؛ فكلما كثرت الآراء وتلاقحت مع بعضها، تولد مزيد من الخدمات التي تقدمها لكل الاخرين.

لماذا التربية على عدم الاختلاف للرمز 

كان النبي ﷺ يدرك أن بقاء هذه الأمة رهين بتأليف القلوب التي التقت على الحب في الله وأن نهايتها وحتفها في تناحر قلوبها. لذا كان يحذر في أمر الخلاف فيقول «**ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم....**» [رواه أبو داود].

كما كان الصحابة يرون أن الخلاف لا يأتي بخير، كما قال ابن مسعود: «الخلاف شر».

وكان النبي ﷺ يعلم الصحابة أدبًا من آداب الاختلاف حتى في قراءة القرآن فيقول لهم: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا**»[رواه الدرامي].

قوموا إن اختلفتم في بعض الأحرف أو المعاني حتى تهدأ نفوسهم وقلوبهم ولا يكون للجدال والغضب طريق لهم.

أما اختلاف الصحابة في عهد النبي وبعد وفاته فهو موجود، ففي عهد النبي اختلفوا في أمور كثيرة كان يصححها لهم النبي مثل صلاة عمرو بن العاص بالجند في

معركة وهو جنب وتيمم بدلاً من أن يغتسل، واستنبط حكمًا شرعيًا من قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

واختلاف أبى بكر وعمر فى تولية رجال على قومهم حتى قال عبد الله بن الزبير: كاد الخيران يهلكان، قال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى، وقال عمر: ما أردت خلافك، وارتفع موتاهما فى ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

وبعد وفاة النبى اختلفوا فى مكان الدفن فقال قائل: ندفنه فى مسجده، وقال آخر: ندفنه مع أصحابه، وقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله يقول: «ما قُبِض نبى إلا دُفن حيث يقبض» [رواه ابن ماجه] «فرُفع فراش رسول الله الذى توفى عليه فحُفر له تحته.

ثم اختلفوا فى خلافة رسول الله ﷺ حتى استقروا على أبى بكر.

ثم اختلفوا فى قتال مانعى الزكاة، وحتى فى بعض المسائل الفقهية بين أبى بكر وعمر وبين عمر وعلى وبين عمر وبن مسعود حتى ذكر ابن القيم أن المسائل الفقهية التى خالف فيها ابن مسعود عمر رضى الله عنهما بلغت مائة مسألة، ومع ذلك فإن اختلافهما هذا ما نقص من حب أحدهما لصاحبه وما أضعف من تقدير ومودة أى منهما للآخر. فهذا ابن مسعود يأتينه اثنان: أحدهما قرأ على عمر وآخر قرأ على صحابى آخر، فيقول الذى قرأ على عمر: اقرأنيها عمر بن الخطاب، فيجهش ابن مسعود بالبكاء حتى يبل الحصى بدموعه ويقول: اقرأ. كما أقرأك عمر؛ فإنه كان للإسلام حصنًا حصينًا يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه. فلما أصيب عمر انثلم الحصن.

وهذا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه رمز سياسى يقول عنه مروان بن الحكم: ما رأيت أحدًا أكرم غلبة من على، ما هو إلا وإننا يوم الجمل فنادى مناديه: ولا يزفف - أى يجهز- على جريح.

ويسأل بعضهم أمير المومنين عليًا عن أهل الجمل: «أمشركون هم؟ فيقول رضى الله عنه: من الشرك فروا. قال: أمنافقون هم؟ فيقول رضى الله عنه: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. فيقال: فمن هم إذن؟ فيقول: إخواننا بغوا علينا.



•• ومن العلماء الرموز ما حدث منهم فى أدب الاختلاف مثل:

الشافعى العالم الرمز:

ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق فى مسألة؟ ويقول أيضًا: ما ناظرت أحدًا إلا قلت: اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه. فإن كان الحق معى، اتبعنى. وإذا كان الحقُ معه، اتبعته.

مالك العالم الرمز:

يقول للخليفة العباسى حينما أراد أن يحمل الناس على الموطأ -كتاب مالك فى الحديث والفقه-: لا تفعل يا أمير المؤمنين، معتبرًا أن لكل قطر علماءه وآراءه الفقهية. فرجع الخليفة عن موقفه بسبب هذا الموقف الرفيع من مالك فى احترام رأى المخالف وإفساح المجال له.

قول ابن تيمية:

«وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودى أو نصرانى فضلاً على الرافضى قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله».

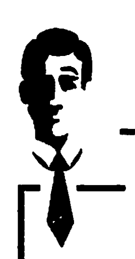
لا تنس أيها الرمز:

- العذر بالجهل فى الأمر.
- العذر بالاجتهاد.
- العذر باختلاف العلماء والبيئة والقصد.
- الرفق فى التعامل.
- احتمال الصواب والخطأ.
- التعصب المطلق للرأى والحدة والتشنج وعدم الانفتاح على الآخر.
- تفهم مواقف الآخرين.



- المناقشات المفتوحة والنقد الصريح البناء يساعدك على القضاء على الخلافات قبل وقوعها.
- رفع التناقضات بين المصالح الفردية ومصالح الجماعة الخاصة بالرمز يمنع الخلافات.
- التركيز على القواسم المشتركة التى تجمع بين المختلفين مع تجنب نقاط التباين، يساعدك على إذابة الاختلافات.
- لا تغضب حين يتعرض رأيك للنقد.
- الابتعاد عن «الشخصنة»؛ حيث يتحول الحوار إلى معارك شخصية.
- الإنسان يطمح بفطرته إلى تغيير الواقع إلى الشكل الأمثل، وهو يحتاج فى كل مراحل التغيير إلى الإيمان بالقيم، فالتزم بها لا تختلف إلا بأدب مع الغير.

الوصية الخالدة من الإمام على إلى ابنه الحسين رضوان الله عليهما: «يا بنى اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها، ولا تظلم، كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وإن قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك».



عاشرًا: التعرف على طبيعة المجتمع

ليس للرمز اختيار.. فلابد له من:

التعرف على طبيعة المجتمع الذى يتعامل معه فنيًا اختصاصيًا بالممارسة والاشتراك، وهذه الممارسة والاشتراك من أقوى الأمور فى إدراك الحقائق وصقل التجارب.

- **فكيف يتعلم الرمز السياسى المشاركة السياسية من مجتمع سوف يتعامل معه؟**

هل من السياسيين الموجودين ؟ أم من وحى فكره وخياله النظرى ؟

- **وكيف سيتعلم الرمز الداعية الكلام مع الناس واستحواذه على قلوبهم؟**

من مشاركته إياهم ثقافتهم وبيئتهم دون أن ينغمس فى أخطائهم الموجودين عليها ؟

- **وكيف سيتعلم النقابى دهاليز الحياة النقابية ؟**

أمِنْ كتاب عن أسرار المهنة ؟

بالتأكيد لن يؤتى هذا الكتاب أثره -إن وُجد من الأصل- أو ثماره المرجوة، ولنا فى نموذج الفتى اليابانى الذى طرح من قبل عظة وعبرة.

ولقد كان هذا نهج النبى ﷺ؛ فقد تعرف على طبيعة مجتمعه بأسلوب الممارسة والاشتراك. عاش ﷺ مع المجتمع الذى سينقل إليه الدعوة عيشة المستوعب لثقافة البيئة دون أن ينافس حياة المجتمع فى اتجاهاتها التى تؤثر مستقبلاً عليه، فهو لم يغفل عنها ولم ينغمس فيها، بل عاش حياة المجتمع الفاضلة، ويقول فى هذا الأمر د. رءوف شلبى فى كتابه: «الدعوة الإسلامية: التجربة، الأخطاء، الحل»: «كان راعيًا للغنم عند أمه حليمة، وكان راعيًا للغنم عند قريش على قراريط، وكان تاجرًا معهم فى السوق، وكان قاضيًا لهم فى مدلهمات الأمور عند وضع الحجر الأسود، واشترك معهم فى حلف الفضول».



ألا ترى أنه

- عاش معهم كل أعمالهم ومشاريعهم وثقافاتهم الفاضلة .
- عاش معهم الحياة الاجتماعية فى مستواها العفيف .
- عاش معهم الحياة السياسية فى مستواها العادل الواضح .
- عاش معهم الحياة الاقتصادية فى مستواها الأمين الحلال .

ومع ذلك ما سجد لصنم قط، ولا حلف باللات والعزى، ولا احتفل بعيد، ولا شرب لهم خمرًا ، ولا طعم لهم ذبيحة ذبحوها على النصب .

هذا هو التعرف على طبيعة المجتمع المراد للرمز، وقد نجد بعضًا من قصارى النظر من الناس من يصر وبعناد إذا كان عضوًا فى مكان أو مجلس ألا يذهب إلى احتفال بمناسبة ما (مناسبة عادية) أو إفطار ما أو رحلة معينة أو أى مشاركة اجتماعية والحجة الجاهزة على اللسان : أنا لست هنا لذلك، أنا موجود لمهمة محددة يجب التركيز عليها، هذا لا يجوز أن يُصنع عرفًا أو مهنيًا (وليس شرعًا).

متى ستتعرف عليهم ؟



متى ستتعلم منهم ؟

بعد أن ينقضى الأجل، أم بعد أن تذهب من المكان؟ أم كيف ستورث تجربتك لمن بعدك وتنقل لهم خبرات المكان الذى أنت حللت عليه؟

النبى ﷺ كانت لديه ممارسة كاملة بالجانب الرفيع من ثقافة مجتمعه، وكانت عنده حصانة فطرية لا ينجذب بها إلى ممارساتهم (وهذا ما تكلمنا عنه سابقًا فى جانب القيم والثوابت والمتغيرات).

النبى لم يندمج كليًا فى حياة المجتمع ولم ينعزل عنه فيجهله كليًا .

النبى كان موجودًا فى أوساط المجتمع وليس فى وسطه. فهو فى المجتمع يشترك مع فضليات الأخلاق وعظام الأمور. وهو فى المجتمع يرى وينأى على شرور البشر . كان إيجابيًا مع الحياة الفاضلة .



وكان سلبيًا مع الحياة التى لا تتفق مع طبيعته أو طبيعة الحق البين .

كان معروفًا للجميع .

كان معروفًا منذ اللحظة التى ولد فيها .

كان معروفًا فى فترة رضاعته .

كان معروفًا فى فترة حضانته مع أمه وجده وعمه .

كان معروفًا وهو طفل وهو غلام وهو شاب .

كان معروفًا بالأمانة والخلق الرفيع ، وكان محل الإكرام والتقدير والتبجيل من كل أطراف المجتمع .

ولذا لم يختلف عليه الناس ، وأنت؟ إذا كنت تبحث عن كونك رمزًا فى المستقبل فلابد لك من الوصول لمجتمعك من الصغر لا عندما تشيب ولا يعرفك أحد ؛ فالشاب الموجود فى أوساط المجتمع حديثًا أو من سنوات قليلة خير منك أنت الذى لديك خبرة عشرات السنين ولا تتفاعل مع هذا المجتمع .

فإذا كنت تحتاج أن تتعرف على مجتمع نقابى لتكون رمزًا فيه، ماذا تعرف عنه



●● يجب أن تعرف على الأقل:

- القانون المنظم لتخصص عملك النقابى .
- الغرض من إنشاء النقابة التى تنتمى إليها .
- حقوق أعضاء النقابة .
- واجبات أعضاء النقابة .
- إجراءات القيد فى النقابة .

- شُعب القيد فى النقابة (حسب تخصص العمل إذا كان أطباء فمنهم: أسنان، صيدلة، بيطرى، . . . وإذا كان تجاريين فمنهم: مزاولو المحاسبة والمراجعة «محاسب قانونى»، التنظيم والإدارة، التأمين، إحصاء، مهن تجارية مساعدة. . .).
- كيفية سداد الاشتراكات السنوية.
- معاشات النقابة والإعانات التى تقدمها.
- الأنشطة والخدمات التى تقوم بها النقابة مثل: الرحلات الترفيهية والأنشطة الثقافية والدورات التدريبية المتخصصة واللجان الفنية والرعاية الصحية و. . .
- كل ما هو جديد مرتبط بالمهنة مثل: تعديل قوانين منظمة لها، تعديل أو إنشاء تخصصات جديدة بالمهنة. . .

وإذا كنت تحتاج أن تكون رمزًا سياسيًا فى مجتمعك

.. يجب أن تعرف على الأقل:

- دستور البلد الذى تعيش فيه وما طرأ عليه من تغييرات معاصرة.
- السياسة الشرعية عند الفقهاء وفى الوعى الإسلامى.
- معنى الوعى السياسى وأهميته فى مجتمعك: هل هو ناضج، أم لديه أمية سياسية؟
- مدلول فصل الدين عن السياسة وفصل السياسة عن الدين والرد عليه.
- فهم واستيعاب حديث القرآن السياسى عن العلاقة بين المسلم وغير المسلم فى حالتى السلم والحرب.
- فهم السنة والسيرة النبوية فهمًا شرعيًا وعمليًا.



- فهم واستيعاب التاريخ الإسلامى والتاريخ الحديث، ومعرفة عوامل صعود وهبوط الأمم وأسباب نشوئها وفنائها.
- فقه الواقع الدينى والمادى والجغرافى والاقتصادى والسياسى والثقافى وتوازنات القوى والمصالح وتشابكاتها. . .
- الأولويات وترتيبها وإدراك سنة التدرج.
- معرفة طرق تشكيل الوعى عبر قيادة الرأى العام.
- معرفة المذاهب والأفكار السياسية المعاصرة داخل البلد والتيارات المنظمة للعمل السياسى.
- الوعى بالمستقبل والتخطيط له.
- مهارات سياسية فى رسم السيناريوهات وعملية صنع القرار ونماذج حل المشكلات.
- واجبات الحكومات وحقوقها، وواجبات حاكم البلاد، والموقف إن وُجد انحراف.

وكل هذا لا يكفى، بل لابد أن يكون الرمز حصيفًا وهو يعيش فى مجتمعه هذا، لا يخدع ولكن لا يُخدع، فلا يصح أن يكون عالمًا بمجتمعه ويأنس إليه، طيبًا قلبه، لا يتوقع منهم شرًا ثم فجأة يُغتال من مكانه ويلقى خارج اللعبة وكأنه قطعة شطرنج انتهى دوره وخسر اللقاء نتيجة سذاجة منه وليس نتيجة ذكاء منهم.

الرمز عليه أن يسأل عن الشر المرتقب فى مجتمعه والمحتمل حدوثه. ولعل فى موقف الصحابى الكريم حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- ما تقنع به وتتخذه لك قدوة، كان لا يقنع أن يشارك إخوته من الصحابة فرحهم أيًا كان نصرًا فى معركة، فتحًا من القرآن يحل أزمة. . . حتى تلدغ ابتسامة قلبه تخوفات من احتمالات شر مبهم يراه آتيًا مقبلاً، يجهل صفته وعلامته فيظل قلقًا وجلاً حتى يصفه له الرسول ويذكر له بوادره ومقدماته حتى يحتاط ويحذر.

كان يريد علمًا يكمل علم الخير فصار حريصًا على أن يخلو بالرسول.

يقول حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى» رواه البخارى. مستدرك الحاكم.

فأتقن علم الشر بهذا الحرص وأحاطه علمًا بما سيكون من فتن وسوء ونفاق حتى احتاج إلى علمه كبار الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب يسأله ويستشيره. لم يقل حذيفة إننا فى خير ونسير من نصر إلى نصر فاصرف عنك الوساوس والمخاوف. بل عاش بمبدأ «ماذا لو حدث الأسوأ؟» ليستعد له.

وأنت فى عملك فى مجتمعك هل تتخيل ألا ينضم تحت لوائك ليستفيد منك الضعيف الطامع والعدو المخرب والمنافق والحاقد وأصحاب المصالح وغيرهم الكثير؟ ألا تحتاط كما احتاط حذيفة وأمثاله من النابهين؟

ألا تفكر فيما فكر به حذيفة وأمثاله من الناجحين؟

إن لم تعش فى مجتمعك وتتعرف عليه وتحتاط منهم (الذين قد يسيئون لك فى تصرفاتك الصحيحة وقيمك الإسلامية وثوابتك الدينية) فأنت لست برمز، إنما أنت ضوء فى مغرب اليوم تنتهى بظلام حالك هالك.

ولن تكون رمزًا ناجحًا أبدًا.

وأنت هالك لا محالة.

***

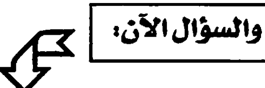
حادى عشر: تكوين ملكة الوعى والثقافة:

من أكثر الأمور أهمية وإلحاحًا للرمز: تكوين ملكة الوعى؛ لأنه يقع عليه عب اتخاذ الموقف الصحيح من الأحداث والأشخاص. وبقدر وجود هذه الملكة، يكون الظن هو النجاح.

ولكن...

تكوين ملكة الوعى والثقافة ليس مهمة سهلة أو تأتى هكذا عفوًا، وإنما تأتى عبر أعمال ذاتية دائبة يجتمع لها أولاً التكوين العقلى الذى يحسن تدبر الأمور ووزنها بالموازين الصحيحة ثم الدأب على تكوين الرصيد المعرفى الذى يكون بمثابة المنظار الذى يبصر به الحدث ويقدره بها مع -كما يقول د. أحمد العسال فى كتابه «مفاهيم أساسية فى فقه الدعوة والتجديد» -متابعة المتغيرات التى ترد على الأحداث وتوجهها حتى يظل قادرًا على استبطان الأمر وحسن التقدير والتأهب لما تأتى به الأيام وتحمله فى طياتها من مفاجآت.





ما نوع الوعى الذى نريد تكوينه للرمز

هل هو وعى عام للمتعة العقلية والمعرفة الشخصية الذاتية للبيئة التى يعيش فيها، أم ماذا؟

إن الوعى الذى نريده للرمز وعى المسلم الرمز المُؤسَّس على معايير مستمدة من القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ وعمقتها تجربة التخصص وأصبحت واضحة للعيان.

هذا الوعى نسيج متشابك يبدأ بالتكوين الفكرى المتدرج مع جملة معارف واسعة من روافد متعددة وعلوم متنوعة تنتهى إلى تخصيص محدد يخدم به الرمز مجتمعه.

وبغير هذا لا يكون الوعى صحيحًا.

كمن يفهم شيئًا فى الفقه ولا يعرف واقع مجتمعه ومقدار ثقافة البيئة أو المسلمين الذين يريد أن يفقههم. فبدلاً من أن يعلمهم ما يحتاجون إليه وفق معرفته لمستواهم،

يذهب فيحدثهم فى قضية تشغله هو فى الجانب الفقهى الذى يدرسه ولا تتصل بحياتهم وظروفهم. وبالتالى تُهدَر الطاقات وتضيع هباءً بسبب سذاجة التفكير والاندفاع العاطفى لعلاج القضايا المهمة، مع إحباط ويأس من جانب المستفيدين من الرمز.

والسؤال الثانى:



كيف تبنى ثقافتك ولا سيما الإسلامية كرمز داعية

١- يجب أن تعلم أن كل أبواب العلم واجبة، والتراث القديم جزء من ثقافة الداعية الرمز، وهذا الأمر يحتاج إلى صبر ومثابرة، وأن تجعله من الواجبات والتكاليف، وليس من باب التمتع والرفاهية إن وجدت لذة تستمر وإن لم تجد تُعرض. لابد أن تطيل الصبر على صعوبة الأسلوب القديم التراثى.

٢- طرقك لكتب التراث يزيد من الحصيلة اللغوية التى تحتاج إليها. ويدعم موقفك من ناحية الأدب والبلاغة وكذلك السياسة.

٣- لابد من إدراك أن ثقافة مجتمعاتنا لم تعد أصيلة، فأغلبهم يرغبون فى الاختصار وتبسيط الكلام ويركزون فى كل أمر على نواحٍ شبه ثابتة كالسياسة والرياضة والفنون فهى المدخل الرئيسى لهم ولابد لك من ثقافة متنوعة مع تأصيل المسائل التى تتحدث معهم فيها والاطلاع على الحديث منها.

٤- لابد من اختيار كلامك وصوغه بلغة جميلة للوصول إلى ما تريد، وهذا يتطلب منك أن تقرأ كتبًا أدبية أو شعرًا لتصنع فيك هذه الحاسة. فالاستشهاد أثناء الكلام أو المقالات أو الخطب بقصص مؤثرة أو ببيت الشعر تأسر به المقابل.

وهذه جمل ثقافية يجب أن تتقنها.

٥- يجب أن تركز على جانب من جوانب التاريخ ليفيدك فى إلقاء الضوء على الحاضر والجذور التى كونت هذا الحاضر (هذا التاريخ قديم وحديث).

٦- مع المطالعة، لا تكتف بالمختصر النزير، بل تغلغل فى المعلومات وتعوّد على الترف والأسلوب، ولا تنس أن المختصرات تلك على اختلاف الوسيلة (مطوية، شريط، سى دى، كتيب صغير . . .) هى وسيلة إعلامية عن الدين أو الهدف منه وليست وسيلة ثقافية الهدف منها إعانة من لا يستطيع الاطلاع أو عدم الصبر على الثقافة وليست لك أنت، وأنها لك بمثابة وسيلة حماس عاطفية تؤدى بك إلى مزيد من التعلم وليس الاكتفاء والانزواء داخل الوسيلة سريعة التجهيز بدون دسم.

٧- المنهجية فى القراءة وعدم الاعتماد على ما هو معروض للبيع فقط؛ فرب كتاب نادر ضرورته قصوى للرمز الداعية. فمن الرموز الدعاة من يكتفى من الكتب بما يقع فى يده وهذا كل ما يتوافر لديه، بينما توجد كتب هى أهم فى صياغته الثقافية وتكوين الوعى لديه.

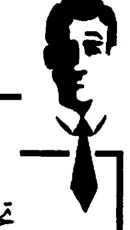
ولذا يجب وضع منهج لحيازة ما طُبع من الكتب الحديثة والقديمة وتذليل العقبات لحيازة ما لم يُعرض فى سوق ثقافتك.

٨- تعلم القراءة السريعة، فكثير من الكتب التراثية أو الكبيرة فى أجزائها لا تحتاج إليه فى موضوعك المحدد -إن كنت تبحث عن شيء ما- مع تعلم التركيز والكتابة تجنبًا للنسيان.

٩- البحث عن أفضلية علماء التخصص، والتتلمذ على أيديهم، والصبر على سلوكياتهم حتى يختصروا لك الطريق فتنهل من خبراتهم من العلوم ما تحتاجه.

١٠- البحث عن المجلات والدوريات المنتظمة التى تحتوى على المقالات الناضجة فى شتى المجالات خاصة السياسى منها، وتتبع الكتاب والمفكرين الذين لهم بصمة فى الحياة المجتمعية وقول صائب يُعجب به جمع من الناس ويبنى لهم الفكر الخاص بهم.

١١- الإكثار من قراءة فهارس دور النشر وفهارس المكتبات العامة ليطلعك على وجود كتب لم تعلم بها، وكذلك قائمة المراجع التى تكون فى نهاية كل كتاب أو



هوامش الكتاب فتعلم بوجود كتب لم تعلم بها أبدًا ولا تستطيع أن تحوزها.

١٢- البحث فى رسائل الماجستير والدكتوراه عن الجديد فيها من فكر وتحديث؛ فكم من رسائل الدعوة والفقه الجامدة، ولكن الجديد هو كيف يستخدم الداعية الوسائل الإلكترونية الحديثة كشبكة الإنترنت مثلاً فى الدعوة.

١٣- معرفة أفذاذ الإسلاميين فى مجال الدعوة الإسلامية، واتخذ لك منهم قدوات يعينونك على الطريق.

•• يقول الإمام على بن أبى طالب:

«من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم».



فابدأ بتعليم نفسك قبل تعليم غيرك.

•• ويقول أبو هلال العسكرى:

«... فإذا كنت ترغب فى سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزًا لا تثلمه الليالى والأيام ولا تتحيَّفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانًا بغير أجر، وجُندًا بلا ديوان وفرض... فعليك بالعلم فاطلبه فى مظانه تأتك المنافع عفوًا وتلق ما يعتمد منه صفوًا».

•• وقال بن إسحاق بن أبى فروة:

«أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد: فأما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الرسل».



وهذا عبد الله بن الزبير رمز من رموز الدعوة والثقافة والوعى فقيل فيه كما روى ابن كثير فى ترجمته فى البداية والنهاية:

- كان ابن الزبير لا يُنازَع فى ثلاث : العبادة، الشجاعة، الفصاحة.

- قال معاوية بن أبى سفيان فى مجلسه يومًا : أنشدونى ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالتها العرب، ثم قال : يا أبا خبيب (ابن الزبير) فقال : مهيم، قال : أنشد ذلك، فقال : نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف، كل بيت بمائة ألف، قال : نعم إن ساوت، قال : أنت بالخيار وأنت وافٍ كافٍ، فأنشده للأفوه الأزدى :

بلوت الناس قرنًا بعد قرن   فلم أر غير ختالٍ وقالِ

فقال معاوية : صدق.

ولم أر فى الخطوب أشد وقعًا   وكيدًا من معاداةِ الرجالِ

فقال معاوية : صدق.

وذقت مرارة الأشياء طرًا   فما شىءٌ أمرُّ من السؤالِ

فقال معاوية : صدق.

ثم قال معاوية : هيه يا خبيب. قال : إلى ههنا أنتهى.

فدعا معاوية بثلاثين عبدًا على عنق كل واحد منهم بدرة وهى عشرة الآف درهم، فمروا بين يدى ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره.

- كان عالمًا عابدًا مهيبًا وقورًا كثير الصيام والصلاة شديد الخشوع جيد السياسة.

- كان له مائة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته.

- كنت إذا نظرت إليه فى أمر دنياه قلت : هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين، وإذا نظرت إليه فى أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

- قال الثورى عن الأعمش عن أبى الضحى قال: رأيت على رأ س ابن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأسمال.

* وهذا الإمام الشافعى وما هو ببعيد حينما قال عنه بعضهم: «. . . والله ما رأيت أحدًا يشبه الشافعى ولا يقاربه فى صنف من العلم».

ويقول آخر: «ما رأيت مجلسًا قط أنبل من مجلس الشافعى: كان يحضره أهل الحديث وأهل الفقه وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر، فكل يتكلم معه».

من هؤلاء: علماء، دعاة، مصلحون...

ولكنْ مثقفون..

***



ثانى عشر: المرونة وعدم الجمود:

يمتاز الإسلام بالوسطية والاعتدال والتوازن والواقعية، لا إفراط ولا تفريط، قوام بين ذلك، وهذا هو الموافق للفطرة السليمة والعقول القويمة والطبيعة البشرية السوية فهو دين ودولة وحضارة ومدنية وعقيدة وفكر وتشريع ونظام وأخلاق وتربية ودعوة وصلاح وتجديد ومرونة وحيوية، وهذا مما يجعل الإسلام مستجيبًا لجميع القضايا المستحدثة والظروف المستجدة دون تناقض أو تطرف. بل المرونة والقواعد والأصول والمقاصد أسسه لإيجاد حلول واقعية لمشكلات وقضايا عالمنا المعاصر حتى قال أحد العلماء: «الجمود على المنقولات أبدًا ضلال فى الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضيين»؛ فالشريعة ما وُضعت إلا لتحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل ودرء المفاسد أو جلب المصالح.

وكما يقول العالم الجليل سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «إن الشريعة كلها مصالح: إما درء مفاسد أو جلب مصالح».

وهذا النبى ﷺ طاف حول الكعبة فى عمرة القضية أيام الهدنة والأصنام من حوله لم يرفع فأسًا أو معولاً لكسرها ولا جعلها جُذاذًا، لماذا لم يرفع أو يكسر هذه الأصنام؟ لمصلحة العباد فى هذا الوقت.

وهذا عمر بن الخطاب لم يقطع يد السارقين عام المجاعة. وغيره من الأئمة والتابعين فى مصالح العباد ولذا كانوا رموزًا.

ولا شك أن من أهم العوامل النفسية المعوقة للتطور لدى الرمز هو افتقاده المرونة الكافية فى التكيف النفسى السريع لمواكبة التطور المذهل لمجتمعه، مما يؤدى به لأن يكون معايشًا لنصوص لفظية تاريخية قبلية، محجوبًا عن الواقع العملى الآنى.

وبالتالى يحشر فى زاوية حرجة من خارطة مجتمعه يفتقد الرؤية والمرونة الكافية لمعايشة الوافد الجديد، فتجد عندها لديه مؤشرات الرفض السريع؛ حيث الجمود والتحجر والتحفز للرد والمبادرة نحو المصادرة.

وكيف يحدث له هذا فى ظل عالم متغير؟ هذا العالم سينصرف عنه حتمًا، كما فعل الشاعر «الصمة القشيرى» مع زوجته حين لم تسايره فى تفكيره ورؤاه فحل مشكلته معها بالانصراف عنها بالبينونة الكبرى وقال لها:

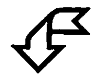
كلى التمر

حتى يصرم النخل

واضفرى خطامك

ما تدرين ما اليوم من أمس

•• ولذا فإن الرمز يحتاج إلى:



إمعان وتفكير واع للمجتمع الذى يعيش فيه وثقافته. وعليه أن يميز - وبهدوء شديد - أين هو الآن.

- هل هو فى مكانه يؤسس ويبصمت قواعد ورموزًا صغيرة جديدة يُنتظر أن تؤتى ثمارها؟ إذن يحتاج المرونة.

- هل هو فى مكانه على رأس الهيئة أو الجهة وبجانبه بعض من مؤيديه ويضمن ضمانًا تامًا (تامًا جدًا) ولاءهم لما يريده هووهم؟ إن هذا صعب فى هذه المراحل وسوف يجد حوله منافقين ومجتمع النبى فى عصر النبوة ثم من بعده فى عصر الخلافة الراشدة لم يخلُ من المنافقين فتعامل معهم ولم يقتلهم حتى لا يشاع أنه يقتل أصحابه (أصحاب منافقون وليسوا منافقين كما يقال أو يحلو للبعض أن يتكلم بهذا فى أوساطهم).

حتى وإن كان على رأس الدولة وبجانبه بعضهم سيجد من يناطحه. ولنا فى الرمز العادل عمر بن عبد العزيز قدوة فى المرونة؛ فهو خليفه سياسى فقيه جاء إلى الحكم بعد مظالم ارتكبها سابقوه فتدرج ولم يستعجل، ودخل عليه ولده عبد الملك يومًا وقال له:



- يا أبت، ما يمنعك أن تمضى لما تريده من العدل؟ فوالله ما كنت أبالى لو غلت بى وبك القدور فى ذلك.

قال: يا بنى، إنى إنما أروض الناس رياضة الصعب. إنى أريد أن أحيى الأمر من العدل فأوخر ذلك حتى أخرج معه طمعًا من طمع الدنيا فينفروا من هذه ويسكنوا لهذا ماذا كان يفعل عمر بن عبد العزيز؟ . . . يروض الناس رياضة الصعب بالتأنى والموعظة والقناعة وليس بالسطوة والعقاب.

ولكن حماسة الشاب تجعله يرد على والده مرة أخرى ليعرف منه لماذا يتأخر فى تعديل الأمور وقال له:

- يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها؟

ويرد عليه عمر بن عبد العزيز: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً. يا بنى، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة. ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا علىّ فتقًا يكثر فيه الدماء. والله لزوال الدنيا أهون علىّ من أن يراق فى سببى محجمة من دم أوما ترضى ألا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة؟

مهم للرمز أن يكون لديه النية الحازمة والحماس والخبرة مع تحديد الظروف وردة الفعل المعاكسة وتكيف المحيط ومرونة لامتصاص الصدمات المحتملة.

- وفى موقف صعب للنبى ﷺ فى بيعة الرضوان لما بلغه أن عثمان بن عفان - ضى الله عنه- قُتل، دعا الرسول أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت ما عدا «الجد بن قيس» لنفاقه.

موقف جهادى يحتاج إلى كل الناس والموت فى سبيل قضية خرجوا أصلاً من أجلها ولم يف المنافق بما خرج عليه.

لم يتكلم الرسول ولم ينعته بنعت أو أى شىء.

ثم، ماذا ينُتظر من المنافق؟ أن يعينك على ما تريد!

- موقف آخر عند كتابة الصلح مع قريش، عندما شرع النبى فى إملاء صيغة المعاهدة التى تم الاتفاق على بنودها، أمر الكاتب وهو على بن أبى طالب بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: بسم الله الرحمن الرحيم، اعترض رئيس الوفد القرشى سهيل بن عمرو وقال: لا أعرف الرحمن الرحيم، اكتب (باسمك اللهم) فضج الصحابة على هذا الاعتراض وقالوا: هو الرحمن ولا نكتب إلا الرحمن.

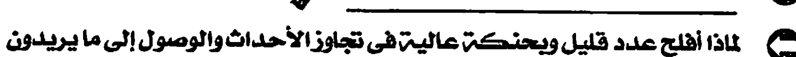
ولكن النبى ﷺ تماشيًا مع سياسة المرونة والحكمة والمصالح العامة قال للكاتب على: «اكتب بأسمك اللهم»، ثم استمر فى إملاء صيغه المعاهدة وأمر بأن يكتب (هذا ما اصطلح عليه رسول الله)، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشى مرة أخرى وقال: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ اكتب اسمك واسم أبيك.

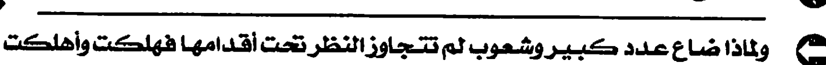
واعترض الصحابة، ولكن الرسول مرة أخرى حسم الخلاف وشُطبت كلمة رسول الله من الوثيقة. وبعد النظر والمصلحة العامة للمسلمين ما تم حذفه هو أسس أم شكليات غير جوهرية لم تحد بالمسلمين عن الهدف الأسمى، ثم ما تم حذفه لم يعظم آلهتهم ولا نفى ما يرغب فيه الرسول من الوصول إليه.

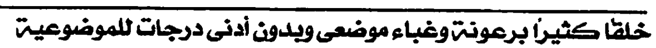
الديباجات التى اعتادها الناس من الممكن بمرونة تجاوزها من خلال الرمز صاحب البعد العالى.

كما على الرمز أن ينظر فى تجارب معاصرة لما يحدث فى المجتمعات القريبة من تخصصه





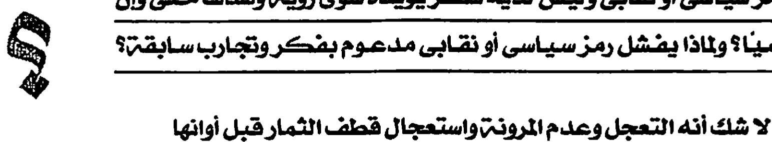






ارجع لتجارب فشلت فى الحصول على ما تريد، وحلل تجارب أخرى نجحت حيئذ فكرك وحماسك الآن، واستند إلى الله عز وجل ثم إلى المنطقية وأساليب التحليل العملية

لماذا ينجح رمز سياسى أو نقابى وليس لديه فكر يؤيده سوى رؤية وهدف حتى وإن كان شخصياً؟ ولماذا يفشل رمز سياسى أو نقابى مدعوم بفكر وتجارب سابقة؟



لا شك أنه التعجل وعدم المرونة واستعجال قطف الثمار قبل أوانها حماس شباب بدون حكمة شيوخ.

وبدراسة تجربة سياسية فشلت ثم نجحتت مثلت في تعجل الشيوعيين الاستيلاء على الحكم ١٩٠٥ وفشلوا وفشلت ثورتهم وقادهم لينين فى تراجع ماهر، ثم استأنفوا الثورة أيام الحرب العالمية.

ماذا فعلوا؟ قرروا التراجع والانتقال إلى طرق أخرى للنضال، فاستثمروا النقابات والتعاونيات ونوادى العمال وأتقنوا العمل السرى مع العمل العلنى.

تراجعوا وشكلوا تشكيلات جديدة للتنظيم، احتفظوا بقواتهم الأساسية حتى تعلموا أنه يستحيل النصر بدون تعلم الهجوم الصحيح والتراجع الصحيح أيضاً.

من الذى فعل هذا؟.

إنه لينين المغرم بالسيطرة، الراغب فى الوصول لما يريد وبالعنف الدموى والتحطيم للأرستقراطية وانتزاع الحكم بلا رحمة ولا هوادة.

إنه لينين الذى كان لا يمنح عضوية الحزب إلا للذين يتسمون بالنشاط الثورى والقدرة على التصدى والصمود وليس مجرد زمالة أو صحبه.

إنه لينين الذى أرسل رسالة زاجرة ساخرة ذات مرة يقول فيها: «إنى لأعجب كل العجب حقًا إذ أسمعكم منذ نصف سنة أو يزيد تتكلمون عن القنابل والمفرقعات ثم لا أراكم تصنعون قنبلة واحدة أو تحدثون فرقعة».

ومع هذا كان مرنًا فى الوصول إلى ما يريد.

- وبدراسة تجربة الملك عبد العزيز آل سعود وصبره ومرونته فى التطوير العلمى لبلده المملكة العربية السعودية، مكث عشر سنين يقنع من حوله بفائده إدخال شبكات الهاتف واستخدامه وهم يرونه رجزًا من عمل الشيطان وكان كلما مد خطًا أو ثبّت للهاتف سلكًا أزالوه أو قطعوه حتى أسلاك قصره حيث كان يقيم، حتى الدراجة أطلقوا عليها حصان إبليس وأنه هو الذى يسيرها بسحره، والسيارة كانت عربة الشيطان، والساعة تهمس بنبضات الجن.

كل هذا تحمله الرمز عبد العزيز بحكمة وحنكة ولين وسياسة ومراعاة للظروف فى عصره لن يصل الرمز لهذه الدرجة من المرونة وعدم الجمود إلا إذا كان قارئًا جيدًا لتجارب الآخرين فى تخصصه وعالمًا بفقه الواقع ومحيطًا بما يدور حوله.

***



ثالث عشر: تحويل الخصوم لأصدقاء بالأفعال والأقوال:

الرمز في حياته الصعبة سيجد الكثير من الخصوم قبل الأصدقاء. فإن لم يستطع تحويلهم إلى أتباع أو على الأقل تحييد قواهم والابتعاد عن شرهم، فقد يطيحون به من أول جولة. وفى فن تحويل الخصوم تحتاج هنا إلى طيبة القلب وذكاء لا يُخدع به كما كان يقول عمر بن الخطاب: «لست بالخب ولكن الخب لا يخدعنى». فطيبة القلب لا تنفى الكياسة والفطنة، ثم مع الخصال الكريمة الطيبة والتخصصية تجد الكثير من الناس تتحول من النقيض للنقيض.

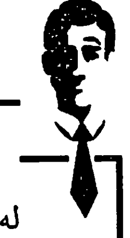
ويفيد في هذا المقام موقف النبي ﷺ من سهيل بن عمرو -الخطيب المفوه الذى كان يؤذى المسلمين بلسانه- حينما وقع أسيرًا في غزوة بدر اقترح عمر بن الخطاب على الرسول أن يقطع قواطعه حتى يدلع لسانه ويقول: دعنى أنزع ثنية سهيل بن عمرو ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا. فقال رسول الله ﷺ: **لا أمثّل به فيمثّل الله بى وإن كنت نبيًا**، ثم قال رسول الله لعمر: **إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه»**(١).

وبالفعل خدم الإسلام والمسلمين حين مات النبى وارتد العرب ونجم النفاق بالمدينة وغيرها فقام بمكة فخطب بالناس وثبتهم على الدين الحنيف قائلاً: «يا معشر قريش، لا تكونوا آخر الناس إسلامًا وأولهم ردة، من رابنا ضربنا عنقه».

هذا الرجل لم يسلم إلا في فتح مكة، ومن بدر حتى إسلامه كان يتشدد على المسلمين:

- كان من المتشددين في اختيار الألفاظ التى كانت تُكتب بها معاهدة صلح الحديبية.
- ضرب ولده أبا جندل عندما جاء يرسف في الأغلال وتوقف عن المضى في إبرام

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٨٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٦٤٩.



المعاهدة إن لم يُرجع المسلمون ولده إلى دار سهيل، وكان مشهدًا تتقطع له الأفئدة وبكت له عيون المسلمين.

- ساعد قبيلة بكر حليفة قريش لتعتدى على العزل من النساء والأطفال والرجال من قبيلة خزاعة التى دخلت فى حلف مع المسلمين.

كل ما فعله النبى معه لم يكن فى صالح المسلمين ظاهرًا، ولكن كان من الصالح العام التعامل معه وعدم إيقاف مسيرة الصلح مع قريش، وفى موقف الصحابى أبى جندل كان فتحًا للمسلمين حينما فرّ من قريش وسيطر مع آخرين على طرق قوافل المشركين الآتية من الشام، وكان هذا سببًا فى إلغاء المعاهدة بين قريش والمسلمين.

ولم يكن موقف الردة وحده الذى أظهر سهيل بن عمرو، فهذا أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يوم حجة الوداع يراه يسوق النوق لينحرها الرسول ويلتقط الشعر الذى كان يحلقه رسول الله ثم يجعله على وجهه وعينيه، يقول أبو بكر: «لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائمًا عند النحر يقرب إلى رسول الله بدنة ورسول الله ينحرها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه فأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضعه على عينيه وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم وإباءه أن يكتب: أن محمدًا رسول الله فحمدت الله الذى هداه إلى الإسلام».

- لما رجع النبى إلى المدينة بعد بدر ومعه أسارى قريش قال للصحابة: «استوصوا بهم خيرًا»[(١)] فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يقول: كنت فى الأسرى يوم بدر فقال رسول الله: «استوصوا بالأسارى خيرًا»[(٢)] وكنت فى نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعمونى البر لوصية رسول الله.

وهذا أبو العاص بن الربيع يقول: كنت فى رهط من الأنصار جزاهم الله خيرًا كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر والخبز معهم قليل والتمر زادهم حتى إن الرجل لتقع فى يده كسرة فيدفعها إلىّ، وكانوا يحملوننا ويمشون.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٧٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤ وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع ٥/ ٢٩٠.

كان هذا خلقًا رحيمًا ذا أثر فى إسراع مجموعة من الأسارى إلى الإسلام بعد أن سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم وطهرت نفوسهم وعاد الأسرى إلى بلدهم وأهليهم يتحدثون عن محمد ومكارم أخلاقه ومحبته وسماحته وعن البر والتقوى والإصلاح والخير.

ولكن. . . .

هذا لا يمنع -ولم يمنع- الرسول من قتل عقبة بن أبى مُعيط والنضر بن الحارث شيطانى قريش والمتربصين بالمسلمين الدوائر؛ حيث كان بقاؤهما أو فداؤهما مصدر خطر كبير على الإسلام حتى وإن قال من لاولادى ومن للصبية ومن ومن. . .

الطغاة المعادون لا مجال للتساهل معهم فهم زعماء الشر وقادة الضلال فلا هوادة معهم لأعمالهم الشنيعة.

كانت هذه أفعال تحوّل خصوم الرمز إلى أتباع أو أصدقاء. يضاف إليها ما حدّث به النبى ﷺ وقال: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدىِ الناس يحبوك**» رواه ابن ماجه.

أما الأقوال:

... حتى أنت يابروتس:

يحكى أن «القيصر» إمبراطور روما كان نائمًا ثم استيقظ فجأة ليلاً على صوت جلبة وهرج ومرج فى ردهات قصره، وإذا مجموعة من الانقلابيين قد اقتحموا القصر بأسلحتهم وسيوفهم يريدون قتله، فحمل سيفه وقاومهم بكل شجاعة، وإذا به فى غمرة قتالهم بكل جلاد واقتدار يحس بخنجر غادر يغرسه أحدهم فى ظهره من الخلف. لقد تعرض إلى طعنة شديدة وعميقة وقاتلة فى ظهره، وقد ظن للوهلة الأولى أن من فعلها هو أحد هؤلاء الانقلابيين تحين الفرصة وطعنه فى ظهره، ولكنه حينما التفت ليرى قاتله كانت مرارة الصدمة آنذاك أشد من حرارة الطعنة!!!

فلقد تفاجأ بأن صاحب تلك الطعنة الغادرة القاتله لم يكن سوى صديقه العزيز ونصيره «بروتس»، فنظر إليه «القيصر» نظرة مؤلمة آسيفة مستغربة إلى حد الذهول قائلاً كلمته الشهيرة التى أصبحت مضربًا للأمثال فى خيانه الصديق وانقلاب الشقيق، قال بمزيج من المرارة والدهشة والأسف: حتى أنت يا بروتس.

جملة واحدة قالها القيصر ألهبت مشاعر العامة فانتصرت للقيصر وتألمت له، ولكن فصاحة «أنطونيو» الذى كان ضمن مجموعة الانقلابيين بددت هذه المشاعر تمامًا وتناسى الناس قيصر، قال لهم: لقد مات الظالم.

فى لحظات قلب موقف الناس فهتف الناس لأنطونيو وقد كانوا من لحظات يريدون قتله ،وجعل أنطونيو أهل روما يلعنون قيصر ومازالت جثته مضرجة بدمائه.

- **وفى خطاب الزعيم جمال عبد الناصر -رمز القومية العربية- بعد صلاة الجمعة** من الجامع الأزهر أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ جملة أقوال جعلت الشعب يحتشد خلفه، ومن أقواله عندها:

- العالم اليوم مهدد من أقصاه إلى أدناه، الإنسانية اليوم مهددة.
- هناك فرق بين السلام وبين الاستسلام. إن سياستنا التى أعلنّاها هى أن نعيش أحرارًا، أحرارًا فى بلادنا، سياستنا مستقلة.
- عايزين نعيش عيشة حرة، عيشة مستقلة، حياة كريمة عزيزة.
- حينما رفضت أن نكون أذيالاً كنت أرفض باسمكم، باسم عزتكم، باسم حريتكم، باسم كرامتكم، وباسم أرضكم.
- أنا هنا أمثل شعب مصر لا أمثل إرادة «إيدن» (رئيس وزراء إنجلترا).
- «إيدن» فرض علينا القتال ليتحكم فينا ويتحكم فى مقاديرنا ويتحكم فى وطننا. «إيدن» فرض علينا القتال ولكنه -أيها الإخوة- لن يستطيع أبدًا أن يفرض علينا الاستسلام.

- «بورسعيد» دفعت ضريبة الدم، فى محنتها كانت بتفدى كل واحد فيكم، بتفدى بدمائها مصر، بتحمى شرفنا، شرف الوطن، بورسعيد تحملت ضريبة الدم.
- أيها المواطنون: شعارنا اليوم... عزم وتصميم وإيمان.
- أيها المواطنون: شعارنا اليوم... إننا نريد السلام ولن يُفرض علينا الاستسلام.
- أيها المواطنون: شعارنا اليوم... اتحاد وقوة وعمل وتصميم وكفاح وجهاد.
- إن شعارنا اليوم أيها الإخوان... أيها الإخوة... أن نتجه إلى الله ليملأ قلوبنا بالإيمان ويملأ قلوبنا بالتصميم.
- إن شعارنا اليوم أن نتجه إلى الله ليشد من أزرنا ويعيننا على مقاومة الطغاة المعتدين.
- إن شعارنا اليوم: سنقاتل، سنقاتل دفاعًا عن أوطاننا، ولن نفرط فى سيادتنا.
- إذا كانوا قد فرضوا علينا القتال فإننا لن نستسلم أبدًا وسنبنى بلدًا ومستقبلاً وتاريخًا، سأقاتل معكم ضد أى غزو، سنقاتل لآخر نقطة دم ولن نستسلم أبدًا».

خرج الرمز الزعيم جمال عبد الناصر من هذا الموقف بانتصار سياسى شعبى زعيمًا لكل العرب.

- **وحتى تخرج بكلامك مع الناس..**

ويطريقة تجعلهم يطلبون منك الاستفاضة والاستزادة:

- اجعل الخوف صديقًا وحليفًا يدفعك للأمام، لا عدوًا يرهبك أو يثبط من عزيمتك.
- استثمر نبرات وقوة صوتك؛ لأن الأذن تعشق قبل العين أحيانًا.
- لا تكن راوى قصص مملاً، ولا تُطل فى سرد القصص والشرح والاستفاضة.
- لا تبدأ بطريقة تقليدية وكن متميزًا.
- استخدم وسائل عرض -إن وُجدت- مبهرة ولافتة.

- بسط المسائل والمعادلات الحسابية المعقدة.

- لا تستخدم ألفاظًا عسيرة الفهم.

- اختم العرض ختامًا مبهرًا.

- توخ الدقة فى الإعداد واحرص على إتمام الخطوات اللازمة لإنجاح عرضك للناس.

- لا تترك للناس مجالاً للشك فى أمثلتك أو وصفها بعدم الواقعية، بل عززها بنتائج وحقائق.

- كن على سجيتك وتكلم بحرارة، وفى هذه قصة مفيدة:

فى أحد أيام تكريم رواد مشروع خيرى، أقيم حفل التكريم فى جامعة أمريكية بكاليفورنيا وتم تكريم عدد من النجوم المشهورين منهم ممثلان استطاعا أن يجذبا الجمهور ويبكياه ويضحكاه فى لحظة واحدة، وعندما كان على أحد المكرمين أن يصعد للتكريم وليلقى كلمته قال لمن بجانبه: أنا فى ورطة ماذا أقول بعد النجمين؟ فهمس له فى أذنه جاره وقال له: كن على سجيتك وتكلم بحرارة.

صعد ليلقى كلمته وبدأ يصور للحاضرين توهج مشاعره وبدأت الموسيقى تعزف لحن (نحن العالم) وبدأت مشاعر الناس تلتهب تقديراً لتعاطفهم مع ما قدموه من عمل خيرى، وما أن قاربت كلمته على النهاية حتى اغرورقت عينه -أى المتكلم- بالدموع وتجلت نبرة الشجى فى صوته وفوجئ بالجمهور يقف على قدميه، بعضهم يبكى تعاطفًا وبعضهم يصفق إعجابًا، ولم ينس الرجل ما حدث له بسبب التلقائية.



أيها الرمز:

أنت تحتاج إلى الأفعال وإلى الأقوال حتى تضمن ولاء الأصدقاء، وفى المستقبل تحول الأعداء والخصوم إلى أتباع ومجاهدين.



رابع عشر: الكياسة في معالجة الأخطاء

لا شك أن حدوث الأخطاء سمة من سمات البشر وطبيعة من طبائع النفوس؛ فكل بنى آدم يخطئون، وجميعهم يقصرون ويغفلون. ولهذا فعلى الرمز ألا يفرض العصمة على من حوله فيحاسبهم على ذلك. ولكن إذا ما وقعت الأخطاء أمامه أو سمع عن حدوثها فينبغي عليه معالجتها بأساليب صحيحة وطرق قويمة تبنى ولا تهدم، تنفع ولا تضر، تصلح ولا تفسد.

- كل التجارب تؤكد أن الرمز يحتاج أن يكون هادئًا في تعامله مع خطأ الغير، لينًا في معاملته مع المخطئ سمحًا في المعالجة؛ ذلك أن الهدف هو التصحيح وليس المعاقبة ولا الإهانة. وحتى يعالج الرمز الخطأ علاجًا جذريًا، ينبغي له اختيار التوقيت المناسب والمكان الملائم والأسلوب المؤثر، والحذر من أن يؤدى علاج أو إصلاح الخطأ إلى خطأ أكبر وفساد أعلى، كما يجب أن يكون اهتمام الرمز مركزًا في المقام الأول على كسب الفرد المخطئ ومراعاة نفسيته؛ فليس كل البشر من حول الرمز أهلاً للمصارحة أو تقبل النقد؛ فمنهم من يقبل، ومنهم من يقبل ظاهرًا لكنه يضمر فى نفسه خلاف ذلك، ومنهم من يدافع عن نفسه بالباطل، ومنهم من يغضب ويزمجر ويتضجر ولا يستجيب، ومنهم من لا يعلم أنه أخطأ من الأساس. . أسباب كثيرة قد تكون لدى المخطئ ولا يتسنى للرمز الإلمام بها أو الاطلاع عليها.

والبداية. . . .

إن الرمز أصلاً موجود لتعديل الأمور وتصحيحها وإعادتها إلى نصابها الصحيح، وبالتالى فإن من أجلّ مهام وظيفته كرمز تصحيح الأخطاء لأن هذه مهمته حيث إنه:

- من تعاليم الخير الملزم به الرمز: فتعليم الناس ميراث الأنبياء والمرسلين؛ حيث يقول الرسول: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على مُعلم الناس الخير» رواه الترمذى. وللتعليم سبل وطرق، ومنها: تصحيح الأخطاء.

- النصيحة الواجبة : فمعالجة الخطأ وتصحيحه من النصيحة الواجبة فى الدين لمنع المنكر وتصحيحه، ودائرة الخطأ أوسع من دائرة المنكر.

- تصحيح الخطأ منهج قرآني : فقد كان القرآن ينزل بالأوامر والنواهى والإقرار والإنكار وتصحيح الخطأ كما حدث مع النبى ﷺ في عبس وتولى، زواج زينب بنت جحش، وأسرى بدر، ورفع الصوت بحضرة النبى من قِبل الصحابة، وغير ذلك الكثير.

وفي كتاب «الأساليب النبوية فى التعامل مع أخطاء الناس» للأستاذ محمد المنجد وضع تنبيهات وفروقات ينبغى مراعاتها عند معالجة الأخطاء وذلك قبل الشروع فى معالجة الخطأ، وهى:

- **الإخلاص لله :** بحيث لا يكون القصد التشفى والانتقام ولا السعى لنيل استحسان المخلوقين.

- **الخطأ من طبيعة البشر :** فلا نفترض المثالية في الناس ثم نحاسبهم بناء عليها، بل يعاملون معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية.

- **أن تكون التخطئة مبنية على دليل شرعى مقترن بالبينة وليست صادرة عن جهل أو أمر مزاجى.**

- **كلما كان الخطأ أعظم كان الاعتناء بتصحيحه أشد :** فالعناية بتصحيح الأخطاء المتعلقة بالمعتقد (الثوابت) ينبغى أن تكون أعظم من تلك المتعلقة بالآداب مثلاً.

- **اعتبار موقع الشخص الذى يقوم بتصحيح الخطأ :** فبعض الناس يُتقبل منهم ما لا يُتقبل من غيرهم أو لأن لهم سلطة على المخطئ ليست لغيرهم.

- **التفريق بين المخطئ الجاهل والمخطئ عن علم :** فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمصر يحتاج إلى وعظ . . . . وهكذا. ولعل فى قصة الرجل الذى عطس وقال له آخر يرحمك الله وهم في صلاة، والأعرابى الذى بال فى المسجد ما يوضح الفارق السابق.

- التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهاد صاحبه وبين الخطأ العمد والغفلة والتقصير.

- إرادة المخطئ للخير لا تمنع من تصحيح خطأه وتنبيهه عليه.

- العدل وعدم المحاباة فى التنبيه على الخطأ: كقصة أسامة بن زيد فى شفاعته فى رفع الحد عن المرأة المخزومية التى سرقت.

-الحذر من إصلاح خطأ يؤدى إلى خطأ أكبر: فلقد سكت النبى عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم حتى لا يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه. وكذلك نهى الله عز وجل عن سب آلهة المشركين حتى لا يؤدى ذلك إلى سب الله عز وجل، وهو منكر أعظم.

- إدراك الطبيعة التى نشأ عنها الخطأ: فهناك أخطاء لا يمكن إزالتها بالكلية لأمر يتعلق بأصل الخلقة ومثال ذلك ما قاله الرسول في أن: «المرأة خُلقت من ضلع أعوج...» رواه البخارى. وبالتالى يتعين الأخذ بسياسة العفو مع النساء والصبر عليهن فى أمور الحياة الدنيا ولكن إن حدث خطأ شرعى فلا عفو ولا صبر.

- التفريق بين الخطأ فى حق الشرع والخطأ في حق الشخص، وكذلك التفريق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير، مع التفرقة أيضًا بين المخطئ الذى له سوابق فى عمل الخير وعدم النزول للشر وبين صاحب سوابق الشر أو الذى يقع منه الخطأ مراراً وتكرارًا أو من وقع فيه لأول مرة.

- التفريق بين من يتوالى منه حدوث الخطأ وبين من يقع فيه على فترات متباعدة، وكذلك بين المجاهر بالخطأ والمستتر به.

- مراعاة من يحتاج إلى تأليف قلب فلا يُغلظ عليه.

- مراعاة سن المخطئ بما يتناسب مع العمر أو المرحلة السنية أو العمرية التى يمر بها.

- عدم الانشغال بتصحيح آثار الخطأ وترك معالجة أصل الخطأ وسببه.

- عدم تضخيم الخطأ والمبالغة فى تصويره.

- ترك التكلف فى إثبات الخطأ وتجنب الإصرار على انتزاع الاعتراف من المخطئ بخطئه.

- إعطاء الوقت الكافى لتصحيح الخطأ خصوصًا لمن درج عليه واعتاده زمنًا طويلاً من عمره.

- تجنب إشعار المخطئ بأنه خصم، ومراعاة أن كسب الأشخاص أهم من كسب المواقف.

ولعل منهج النبى ﷺ فى معالجة الأخطاء يبرز للرمز ما يريد فى هذا الأمر؛ فقد كان هديه ﷺ فى التعامل مع أخطاء الناس بـ:

- المسارعة فى تصحيح الخطأ وعدم إهماله كما فى قصة أسامة بن زيد السابقة والثلاثة الذين أرادوا التشدد فى الدين.

- معالجة الخطأ ببيان الحكم «رأى النبي رجلاً كاشفًا عن فخذه فقال له: **غط فخذك فإنها عورة**» رواه الترمذى.

- رد المخطئ إلى الشرع وتذكيره بالمبدأ الذى خالفه، حدث هذا عندما حدثت واقعة بين المهاجرين والأنصار بسبب فتنة أوقدها المنافقون فقال لهم: «**دعوها فإنها خبيثة**» رواه البخارى، وفي رواية مسلم: «**ولينصرن الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا فلينصره**».

- تصحيح التصور الذى حدث الخطأ نتيجة لاختلاله؛ حيث صحح ﷺ المفاهيم للذين قرروا التبتل وقال لهم فى نهاية الحديث: «.... **لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**» رواه البخارى ومسلم.

- معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف كما حدث مع أسامة بن زيد وقتله لرجل بعد أن نطق بالشهادة وجعل يكرر له: «**فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**» رواه مسلم.

- **إظهار الرحمة بالمخطئ** إذا كان يستحق هذا، وهذا ما حدث مع الرجل الذى وقع على امرأته وهو صائم فكان عليه أن يجد رقبة فيعتقها أو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكينًا وهو لا يقدر على هذا كله ثم أعطاه تمرًا وعرقًا ليتصدق به فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها [يريد المدينة] أهل بيت أفقر من أهل بيتى» فضحك النبى حتى بدت أنيابه ثم قال: «**أطعمه أهلك**» رواه البخارى.
- **عدم التسرع** فى التخطئة والهدوء مع المخطئ كما حدث مع الأعرابى الذى بال فى المسجد فلم يعنفه بل قال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**» رواه مسلم.
- **بيان خطورة الخطأ**: فحينما كان قوم يستهزئون بالله وآياته ورسوله فى غزوة تبوك فيقول الرسول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].
- **بيان مضرة الخطأ**: فحينما كان الناس إذ نزل رسول الله منزلاً تفرقوا فى الشعاب والأودية فقال لهم الرسول: «**إن تفرقكم فى هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**» فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يُقال: «لو بُسط عليهم ثوب لعمهم» رواه أبو داود.
- **تعليم المخطئ عمليًا**؛ لأنه أشد وأقوى وأكثر تأثيرًا من التعليم النظرى، وقد فعل النبى هذا مع أحد الصحابة وهو يعلمه الوضوء فجعله يتوضأ هو أمامه والرسول يصحح له.
- **تقديم البديل الصحيح** حينما علمهم النبى التحيات لله والصلوات والطيبات.
- **عدم مواجهة بعض المخطئين بالخطأ** والاكتفاء بالبيان العام، ومثال ذلك ما قاله النبى «**ما بال أقوامٍ يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم....**» رواه البخارى.
- **إثارة العامة على المخطئ** كما حدث مع الرجل الذى يؤذى جاره فطرح متاعه فى الطريق والناس يسألون فيخبرهم، فجعل الناس يلعنونه فجاء إليه جاره وقال له: ارجع لا ترى منى شيئًا تكرهه.

إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه كما فعل رجل وهو في المسجد ومشبك أصابعه ويُحدث نفسه فقال له : «**إذا صلى أحدكم فلا يشبكن بين أصابعه؛ فإن التشبيك من الشيطان، فإن أحدكم لا يزال فى صلاة مادام فى المسجد حتى يخرج منه**» رواه أحمد .

- طلب إعادة الفعل على الوجه الصحيح إذا كان ذلك ممكنًا وكانت فى رجل صلى فقال له النبى : **ارجع فصلِّ فإنك لم تصلى، فرجع فصلى ثم قال له النبى نفس** القول **فلم يحسن الصلاة حتى علمة النبى ﷺ طريقة الصلاة والوضوء لها**(*).

فالنبي كان ينتبه لأفعال الناس من حوله كي يعلمهم .

- عتاب المخطئ ولومه كما حدث مع حاطب بن أبى بلتعة عندما خاطب قريش بخبر غزو النبى لهم .
- إقناع المخطئ لإزالة الحاجز الضبابى الذى يعترى بصيرته فيعود إلى الحق، وحدث هذا مع الشاب الذى كان يرغب فى الزنى ويريد الإذن بذلك .



أيها الرمز..

ستقع أخطاء كثيرة في مجتمعك وقدرك هو تصحيحها وإزالتها، والكياسة كل الكياسة أن تصلح ما أفسده غيرك لتتم عملك وتنجز مهمتك، والنفس البشرية تواقة فاجعل نفسك تواقة للخير ومعالجة أخطاء وكسب الناس لا المواقف.



ولا تنس فى مهمتك:

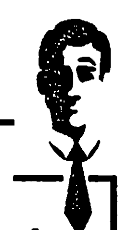
- أن لوم المخطئ لن يأتى بخير غالبًا .
- إبعاد الحواجز الضبابية عن عين المخطئ .
- استخدام العبارات اللطيفة فى إصلاح الخطأ .
- ترك الجدال في معالجة الخطأ؛ فهو لا يأتى بنفع .

(*) الحديث ورد فى كتاب الصلاة، سنن أبى داود .



- وضع نفسك موضع المخطئ ثم تبحث عن الحل .
- **أنه ما كان الرفق فى شىء إلا زانه .**
- أنه من المناسب فى تصحيح الخطأ أن تجعل المخطئ يكتشف الخطأ بنفسه ثم تجعله يكتشف الحل بنفسه؛ فإن هذا أدعى للقبول .
- ذكر جوانب الصواب عند المخطئ عندما تنتقد، قال الرسول ﷺ : « **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**، فقالت حفصة : فكان بعدُ لا ينام إلا قليلاً» رواه البخارى .
- **ألا تفتش أو تبحث عن الأخطاء الخفية .**
- **أن الكلمة القاسية فى العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدى المعنى نفسه .** وفى هذا المعنى توجد حكمة صينية تقول : نقطة من العسل تصيد من الذباب ما لا يصيد برميل من العلقم .
- **أن الناس تتعامل بعواطفها أكثر من عقولها .**

***



خامس عشر: الأمل والحلم

تخيل حياتك كفرد عادى بدون أمل أو حلم.

أكيد ستكون يائسًا من الحياة، الفشل حليفك والاكتئاب نصيرك والإحباط والكسل شماعات جاهزة لترك العمل وتحقيق نصر الله عز وجل والتمكين الذى وعد به عباده الصالحين.

وتخيل حياتك وبك ما سبق من أمراض وأنت رمز لجمع من الناس قدوة لهم، كم من المرضى ستنقل لهم ما بك من أمراض؟ فإن كان الحماس معديًا فالكسل والإحباط واليأس أيضًا معد للغير.

ولا يتبقى لك كرمز ⬅ إلا الأمل والحلم.

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ الثقة في الله عز وجل.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ حُسن الظن بالله عز وجل.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ التضرع إلى الله عز وجل (كما تضرع النبى لربه فى بدر حتى سقط رداؤه).**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ الإيجابية والعمل والمبادرة.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ النشاط والحركة والطاقة والقوة.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ الإصلاح والتغيير.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ العزة والقوة والنصر.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ زوال الظلام وانتشار النور.**

☺ **الأمل الذى يعنى ⬅ البِشر والبُشرى والبشارة.**



كما يقول عز وجل.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وهذا هو المعنى المقصود أنه فى ظل الظروف الصعبة التى يحياها الرمز تجىء البشرى والأمل والحلم المنشود. فعن جابر بن عبد الله يقول: لقينى رسول الله فقال: **يا جابر، مالى أراك منكسرًا؟** «قلت: يا رسول الله استُشهد أبى، قُتل يوم أُحد وترك عيالاً ودينًا. قال: **«أفلا أُبَشرك بما لقى الله به أباك؟»** قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: **«ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أبـاك فكلمه كفاحًا، فقال: يا عبدى، تمن علىَّ أُعْطك. قال: يا رب تحيينى فأُقتل فيك ثانية»، قال الربّ عز وجل: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يُرجعون»** قال: وأنزلت هذه الآية: **«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا»** رواه ابن ماجه.

لذا عزيزى الرمز فإن الأمل فريضة وليس فضيلة؛ لأنه عقيدة كل مسلم رمز وغير رمز فما بالك بك؟ يقول عز وجل: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وكان النبى ﷺ الرمز الأول يركز على ترسيخ الأمل فى الله عز وجل فى نفوس الصحابة حتى فى أحلك الظروف والمواقف.

- فها هو حديثه الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده ما كان مع عدى بن حاتم في حديثه الطويل: **«.... أما إنى أعلم ما الذى يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟»**. قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: **«فوالذى نفسى بيده ليُتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة (أى المرأة المسافرة) من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز»** قلت: كسرى بن هرمز؟!، قال: **«نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد....»** وقد كان الأمل وتحول إلى حقيقة.

-- عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت لرسول الله : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال : «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فنادانى ملك الجبال وسلم علىَّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**» رواه أحمد فى المسند .

أفى هذا الظرف الصعب -بل أصعب المواقف التى مرت على الرسول فى عقبات طريق الدعوة- يرجو الله ويأمل فى إسلامهم لله عز وجل؟

أفى ظرف شديد كهذا قد يغيب عنا جميعًا نتيجة قسوة ما نعانيه فنبرر لأنفسنا استخدام العنف مع من طاح بنا أو ظلمنا أو سلبنا حقوقنا فنتخلص منه؟

إنا والله لنرجو من الله أن يُعيد من ظلم نفسه والإسلام إلى دار الحق ، ونأمل فى الله أن يحقق لنا رجاءنا فيه ، اللهم آمين .

- عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله بحفر الخندق قال : وعرض لنا صخرة فى مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول ، قال : فشكوها إلى رسول الله فجاء رسول الله ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال : «بسم الله» فضرب ضربةً فكسر ثلث الحجر ، وقال : «الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا» ثم قال : «بسم الله» ، ضرب أخرى فكسر ثلث الحجر ، فقال : «الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا» ثم قال : «بسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال : «الله

أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا» مسند الإمام أحمد.

الموقف الفعلى حصار من قريش للمسلمين، جوع وقحط يواجه المسلمين، يضعون حجارة -ومعهم النبى- على بطونهم من الجوع.

ولكن لا بد للرمز، للنبى أن يرسخ فيهم الأمل ويربيهم عليه ليثقوا فى الله عز وجل وتخيل بدون هذا الأمل، ستجد اليأس بديلاً له.

☹ **ومع اليأس ⇦ تتزعزع الثقة فى الله عز وجل.**

☹ **ومع اليأس ⇦ يحل الفشل محل النصر والاستسلام محل التمكين.**

☹ **مع اليأس ⇦ يحل الإحباط والكسل وترك العمل.**

☹ **مع اليأس ⇦ يفقد الرمز القدرة على العمل والحركة.**

☹ **مع اليأس ⇦ يفقد الرمز قيمة السعى لتحقيق الهدف.**

☹ **مع اليأس ⇦ يفقد الرمز الهمة العالية والطموح.**

☹ **مع اليأس ⇦ يصل الرمز إلى الانهيار التام والاستسلام في يد أعدائه ويصبح لقمة سائغة على مائدة اللئام.**

وللتدليل على كونك منتصراً بإذن الله فى هدفك الذى تسعى إليه أن:

- سنة الله الكونية ثابتة، ومن هذه السنن ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

- فالأيام دول والدهر قُلَّبٌ والأمور لا تدوم لأحد ولا تستمر على وتيرة واحدة.

- فعلى من وإلى من تكون الدائرة؟ بإذن الله عز وجل تكون على المعتدين المعادين وتكون للرموز المتقية.

- أمة الإسلام لن تموت ولن تندثر أبداً، وهذه عقيدة يجب الإيمان والإقرار بها؛ فهى لن تموت حتى وإن كنا فى مرحلة كسوف، فنحن لسنا فى مرحلة غروب.

• فالطيور تنتظر الشمس بسبب صوتها، وقريبًا سيتشر النور من الرموز كما يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

ويقول: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

ويقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ويقول: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وعلى الرمز أن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة حتى وإن كانت غير موجودة حاليًا أو يوجد ما يخالفها.

قال الله إنه غالب وناصر رسله وسوف يمكنهم، وهذا وعد حق صادق.

قال الله إنه مستخلف الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الأرض، وهذا وعد حق وصادق. كما أن الاستخلاف فى الأرض ليس مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، وإنما هو هذا كله على شرط استخدامه فى الإصلاح والتعمير والبناء وتحقيق المنهج الذى رسمه الله عز وجل كى تسير عليه، وهذا مبتغى الرمز ومنشوده الساعى إليه.

- يقول الرسول: «**لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسًا يستعملهم فى طاعته**» رواه ابن ماجه. فكن أنت هذا الغرس واسع إليه.

ويقول أيضًا فيما رواه ابن مسعود عن النبى قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منى أو من أهل بيتى يُواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا**» رواه أبو داود.

فكن أنت مع هذا الأمل والحلم أن تملأ الأرض بالعدل وتمنع الظلم.

وليكن فى قراره نفسك أنه لن يغلب عسر يسرين .

فكان عام الحزن على النبى بموت السيدة خديجة وعمه أبى طالب ، ثم كان الإسراء والمعراج بعده مباشرة . وكان سقوط ملوك الطوائف فى الأندلس ، ثم ظهور دولة المرابطين لمدة ٤٠٠ سنة بعدها . وكان سقوط بيت المقدس لمدة ٩٠ عامًا فى يد الصليبيين ، ثم تحريره على يد صلاح الدين الأيوبى . وكان هدم عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد على يد التتار ، ثم انتصار المسلمين عليهم فى عين جالوت . وكان سقوط الأندلس نهائيًا ، ثم فتح القسطنطينية في نفس العام .

فما إن تغرب شمس أمر به ضيق حتى يضىء ويشرق شمس يوم جديد بيسر جديد أشد نقاوة وضياءً .

فانظر لنفسك وتدبر أمرك؛

فما أنت فيه الآن من عسر سيكون يسرًا بإذن الله.

وفى قصة لسيدة نُقلت مع زوجها الضابط إلى صحراء موحشة فضاقت ذرعًا بمعيشتها وهمّت بترك رجلها وحده والعودة إلى أهلها ، ولكن ورد لها من أبيها خطاب تضمن سطرين اثنين غيّرا مجرى حياتها وهذان هما :

«من خلف قضبان السجن تطلع إلى الأفق اثنان من المسجونين ، فاتجه أحدهما ببصره إلى وحل الطريق ، أما الآخر فتطلع إلى نجوم السماء» .



وأنت أيها الرمز..

مع وحل الطريق.. أم تنظر بتطلع إلى نجوم السماء؟

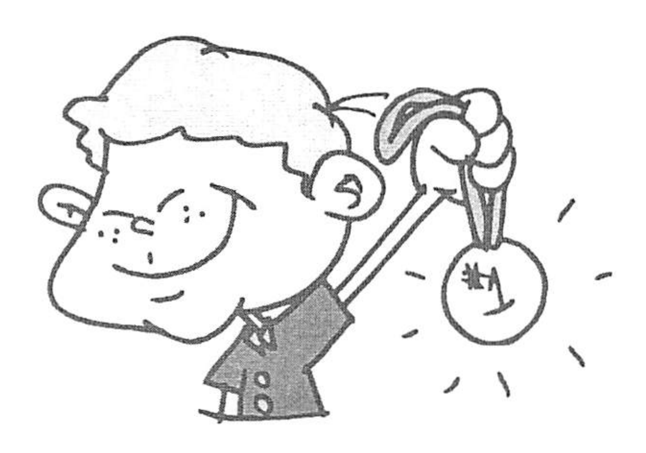
نجـــوم السماء هى

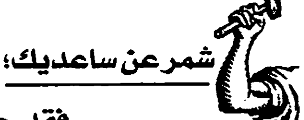
العمـل والأمل والحـلم.

أما وحل الطريق فهو

اليأس والكسل والإحباط وترك الأخذ بالأسباب.

التنشئة القيادية للرمز





شمر عن ساعديك؛

فقد حان وقت العمل الميدانى واللعب مع الخصوم.

حقًا تحتاج إلى الأخلاق والقيم والتربية، ولكن الآن تحتاج إلى المهارات والكفاءات والخبرات الحياتية فى سباق قد تموت فيه معنويًا ونفسيًا وقد يتم التخلص منك نهائيًا. الرهان الآن على الفارس وليس على الحصان.

وأنت فارس أمرك وإلا أصبحت حصانًا يمتطيه الغير للوصول إلى مبتغاه.



أيها الفارس؛

لماذا أنت هنا ؟

للتغيير للأحسن، أم ستكون فارسًا تحارب طواحين الهواء؟

ستكون فارسًا بلا جواد، أم تحتاج إلى مهارة تقود بها الجواد؟

مَنْ حولك كيف ستتعامل معهم؟

أسلوب حياتك كرمز كيف سيكون؟

كيف تحوّل أمانيك إلى أفكار وأفكارك إلى خطط عمل لابد من تنفيذها؟

ومَنْ أنت عندما تحول الأمانى إلى أعمال؟

وأسئلة كثيرة لابد أن تدور فى ذهنك الآن.

المهم، هل أنت قلق؟

القلق هنا صحى وهو ضرورى للنجاح.

المهم ألا تُفرط فى القلق حتى لا تتوتر وتفشل.

ولا تفرط فى النجاح؛ فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون.



خذ نفسًا عميقًا وتوكل على الله عز وجل.

وابدأ معنا مرحلة اللعب مع الخصوم.

أقصد حيتانًا وأفاعى لابد من ترويضها أو نزع سمها لتأمن شرها.

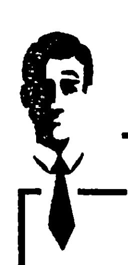
الخطوة الأولى: الرؤية الصحيحة:

إن الرمز حتى يكون قويًا ومتماسكًا ويستطيع الإبحار وسط الظروف الصعبة وفى الوقت نفسه مرنًا لمواجهة العقبات لابد أن يكون لديه رؤية.

الرؤية هى التى تحرك الرمز ومن معه ليسيروا فى اتجاه واحد. الرؤية الجذابة لها قوى عظيمة مثل «الأسمنت الانفعالى» تساعد كل شخص على الصمود وسط الأنواء والعواصف العاتية، وهى تجمع الناس حول حلم مشترك لتجذب الارتباط وتزيد من الطاقة وتنشئ نوعًا من الحياة فى نفوس من حول الرمز وتعبر بهم حاجز الحاضر والمستقبل.. تلك هى نتيجة الرؤية.

وهذا هو ما حدث مع الصحابى الكريم «ربعى بن عامر» عندما التقى قائد الفرس «رستم» ماذا حدث؟ وما قيل؟

أقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة (قطعة من الثوب الممزق) ورمحه مشدود بعصب (ما يشد به من خرق أو منديل) فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، فأشاروا عليه بوضع سلاحه فقال: لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم و إنما دعوتمونى، ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويُقارب خطوه حتى أفسد ما مر عليه من البُسط، ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رمحه على البساط وقال: إنا لا نقعد على زينتكم، فقال رستم: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل لنا رسوله بدين إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر».



من هذا؟ سيد أم أمير؟ جندى أم قائد للمسلمين؟

لماذا يفعل أفعاله تلك ويتكلم بكلامه هذا؟

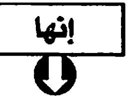
أهو حلم مشترك يجمع كل المسلمين، ؟ نعم، راية موحدة الكل يسير خلفها، كلام واضح برسالة بينة مستمدة من رؤية غرسها فيهم رسول الله ﷺ فأصبحت كجدار أسمنتى فى نفوسهم لا تتغير ولا تتبدل ولا يلين لها ويها الرجال إلا على إخوانهم وفقط ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] هذا هو ناتج الرؤية التى يغرسها الرمز فى صفوف من حوله.

ولكن ما الرؤية؟

- الرؤية شىء يلمس القلب وليس العقل فقط.
- الرؤية صورة متفق عليها لما نود أن يكون عليه المجتمع أو المؤسسة مستقبلاً. إنها توفر نقطة تصويب لاتجاه المستقبل وتجيب عن السؤال: كيف نريد أولئك الذين يهمنا أن يفهمونا؟

الرؤية:

صورة عقلية تصف الحالة المستقبلية المرغوبة أو حلم مثالى يمتد بعيداً.



- تعطى معنًى للتغيرات المتوقعة فى الناس.
- تشكِّل صورة عقلية إيجابية وواضحة لحالة المستقبل.
- تصنع الفخر والطاقة وشعور الإنجاز.
- تعرض صورة أكثر وضوحًا للمستقبل تتناسق مع التاريخ والثقافة والقيم.
- توضح الغرض والاتجاه.



- تلهم الحماس وتشجع الالتزام.
- تخطف الانتباه وتركزه.
- توجه النشاطات اليومية وتلغى الأشياء غير الجوهرية.
- تحث الناس على تجاوز النظر القريب.
- تربط بين الحاضر والمستقبل.
- تحث الناس على العمل.

واربط هذا كله ورؤية النبى ﷺ وأفعاله مع الصحابة.

انظر لموقف النبى مع خباب بن الأرت حين قال للرسول: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ من شدة تعذيب قريش له، قال له النبى وهو محمر وجهه «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له فى الأرض فيُجعل فيه فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» رواه البخارى.

رجل يُعَذّب ويُطفئ نار التعذيب شحمه ثم يقال له: تستعجل.

ثم حُلم أن هذا الأمر سُيتم وبفضل الله.

ماذا كان يفعل النبى؟ يعطيه رؤية وحلمًا يتحقق فى المستقبل ليتحمل الرجل عناء الرحلة ليحصد فى المستقبل نتاج الرؤية، لمس قلبه وأوضح له المستقبل وحمّسه ليتجاوز النظر القريب الذى هو به الآن.

ثم موقف آخر كان مع عدى بن حاتم وبشارته ﷺ بالثلاث بشارات المستقبلية التى تحدثنا عنها سابقًا وهى:

- خروج المرأة المسافرة من الحيرة إلى مكة آمنة.
- فتح كنوز كسرى بن هرمز.
- بذل المال ولا يقبل به أحد.

ويقول عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها» مسند الإمام أحمد.

طالما قالها النبى الرمز فسوف تتحقق وهو فى انتظارها.

وموقف النبى عند الخندق وما حدث مع الصحابة عندما اعترضتهم صخرة أو حجر يبث فيهم روح الأمل والعمل، تجاوزوا العشرة الآف قرشى لتفتحوا بلاد فارس والروم واليمن، صورة واضحة لمستقبلكم وأنا غير موجود، فخر وطاقة وعزة وإنجاز. الغرض واضح الآن وهو الوصول لما بعد قريش والجزيرة العربية بأسرها.

إنها الرؤية التى يصنعها الرمز فتصنع هى بمن معه الأفاعيل.

كانت هذه رؤية للنبى.

انظر إلى رؤى لأفراد رموز صنعوا برؤياهم بلاداً وشركات عظيمة.

- رؤية جون كيندى الرئيس الأمريكى عام ١٩٦٠ عندما فوجئ الشعب والإدارة الأمريكية بوصول روسيا إلى الفضاء فقال: «إننى أعتقد أن هذه الأمة يجب أن تُلزم نفسها بتحقيق هدف -قبل انتهاء هذا العقد- بإنزال رجل على القمر وإعادته سالمًا إلى الأرض»، «لا تقل: ماذا أخذت من الولايات المتحدة الأمريكية؟ ولكن قل: ماذا سأعطى للولايات المتحدة الأمريكية». كانت هذه الرؤية بمثابة القوة التحفيزية التى أعطت معنى واتجاهًا ليس فقط لبرنامج الفضاء بل أيضًا لحياة المهنيين المبدعين فى الولايات المتحدة الأمريكية بالكامل، وتحقق الهدف والأهداف الأخرى قبل نهاية عام ١٩٧٠ وبالتحديد عام ١٩٦٩.

- رؤية «مارتن لوثر كنج» داعية اللاعنف والحقوق المدنية وعدم الفصل العنصرى بين السود والبيض «أخبركم اليوم يا أصدقائى أنه بالرغم من الصعوبات والإحباطات التى أواجهها فى هذه اللحظة، فإننى مازلت أمتلك حلمًا. إنه حلم متأصل فى الحلم الأمريكى.

لدىّ حلم أنه فى يوم ما ستنهض هذه الأمة لتعيش المعنى الصحيح لدستورها القائل [ونؤمن بالبديهية الواضحة أن كل الناس خُلقوا سواسية].

لدىّ حلم أنه فى يوم ما وعلى التلال الحمراء چورچيا سيكون العبيد السابقون وأبناء ملاك العبيد السابقين قادرين على الجلوس معًا على مائدة الأخوة.

لدىّ حلم أنه فى يوم ما حتى ولاية المسيسبى الولاية الصحراوية القابعة فى حرارة الظلم والاضطهاد ستتحول إلى واحة من الحرية والعدل.

لدىّ حلم أن أبنائى سيعيشون فى يوم ما فى أمة لا تحكم عليهم طبقًا للونهم ولكن بمحتوى شخصياتهم، لدىّ حلم اليوم. . . ».

وقد تحقق حلمه ورؤيته بجهد واجتهاد مخلص من أتباعه بعد أن قُتل وأصبح الآن قادة الولايات المتحدة الأمريكية من الزنوج والعبيد وأبناء العبيد السابقين.

أصبحوا أحرارًا.

- رؤية والت ديزنى وحلمه لبناء ديزنى لاند قبل أن تولد بعدُ يقول: «إن فكرة ديزنى لاند بسيطة، ستكون مكانًا للناس ليجدوا السعادة والمعرفة، ستكون مكانًا للوالدين والأبناء لقضاء أوقات ممتعة مع بعضهم، ومكانًا للمدرسين والطلاب ليكتشفوا طرقًا أعظم وأكبر للفهم والتعليم. هنا يستطيع الجيل الأكبر استرداد الحنين للماضى والجيل الأصغر يستطيع تذوق تحديات المستقبل، ستكون عجائب الطبيعة والإنسان هنا للجميع ليروها ويفهموها، ستعتمد ديزنى لاند على المثاليات والأحلام والحقائق.

ستكون ديزنى لاند شيئًا يسبق السوق والمعرض والملعب ومركز المجتمع ومتحف الحقائق الحية ومكان عرض للجمال والسحر، وستمتلئ بالإنجازات والمتع والآمال للعالم الذى نعيش فيه، وستذكر لنا كيف نجعل هذه العجائب جزءًا من حياتنا».

وتحقق الحلم والرؤية.



•• يجد الناس فى ديزنى لاند:

- اللعادة والمعرفة والمتعة الراقية للكبير والصغير .

- نواحى التعلم والتدريب .

- اللوق والمتحف والآمال .

- عجائب أمبحت جزءًا من حياتهم .

وأفلس ماحب الرؤية ثلاث مرات وعانى معاناة رهيبة حتى تحققت رؤيته وأمبح ملء اللمع والبصر الآن.

• والآن اطرح فكرك لتحدد رؤيتك وابدأ بـ:

الخطوة الأولى:

فهم الواقع:

١ - ما العمل الذى أنت فيه أو تقوم عليه؟ وحدد ذلك بالتلاؤل عن:

- ما غرض المكان الذى أنت رمز فيه؟

- ما القيمة الإضافية التى سوف توفرها لمجتمعك؟

- ما الإطار القانونى أو المظلة التى ستعمل تحتها؟

- ما الوضع الفريد لك فى مجالك؟

- ما الذى تحتاجه للومول للنجاح؟

٢- كيف تعمل؟ وحدد ذلك من خلال التلاؤل عن:

- ما القيم والثقافة التى تحكم تصرفاتك عند اتكاذ قرار ما؟

- ما نقاط القوة والضعف لديك؟

- ما الخطة الاستراتيجية التى يمكن أن تضعها للومول إلى ما تريد؟

٣- تدقيق الرؤية. ويمكنك الوصول لذلك بمساءلة نفسك:

- هل لك رؤية معلنة واضحة (لك أو لمؤسستك التابع لها)، وإذا كان الأمر كذلك، فما هى؟

- إذا ما استمررت فى طريقك الحالى (أنت أو المؤسسة) فإلى أين ستتجه فى العشر سنوات القادمة؟ وما فائدة هذا الاتجاه؟

- هل تعرف إلى أين تتجه؟ وهل توافق على هذا الاتجاه لو تم دفعك إليه من قبل المؤسسة؟

- هل البنية الأساسية من مساعدين وموارد بشرية ومادية وسياسات تدعم اتجاهك (أو اتجاه المؤسسة)؟

الخطوة الثانية:

فحص الواقع:

١- من هم أكبر المتأثرين والمستفيدين منك (أو من المؤسسة)؟ وما احتياجاتهم وتوقعاتهم المستقبلية؟

٢- ما التهديدات الممكن أن تخرج من المتأثرين والمستفيدين منك؟

٣- باعتبارك رمزًا لمؤسسة، خارج من عباءتها ماذا تريد شخصيًا أو عاطفيًا منها أن تحققه؟

٤- ما هى الحدود الوقتية، الجغرافية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية لرؤيتك الجديدة (أو لرؤيتك للمؤسسة التى تمثلها)؟

٥- ماذا يجب أن تنجز الرؤية؟

٦- كيف تعرف أن الرؤية قد نجحت وحققت ما تريد؟

٧ - ما القضايا الحساسة التى يجب أن تتصدى لها فى رؤيتك؟



الخطوة الثالثة:

تأسيس محتوى الرؤية:

١- ما التغييرات الكبرى المتوقعة على سطح أعمالك فى نوعية الاحتياجات والرغبات التى تلبيها للآخرين؟

٢- ما التغييرات المتوقعة فى البيئة المجتمعية للمتأثر بك (أو بمؤسستك)؟

٣- ما التغيرات الكبرى المتوقعة فى البيئة الاجتماعية ذات الصلة فى المستقبل؟

٤- حدد درجات الأولوية للتطورات المستقبلية التى من شأنها إحداث تأثير كبير عليك لو أنها حدثت كما توقعت.

٥- حدد عدة سيناريوهات يمكن توقعها لو حدثت التطورات التى تتخيلها.

الخطوة الرابعة:

اختيار الرؤية:

١- ما خيارات الرؤية المتاحة أمامك من بين كل الاتجاهات التى درستها؟ وأيها ينجز النجاح لك وللمتأثرين بك؟

٢- أى الرؤى المحتملة ينسجم بشكل أفضل مع معايير الرؤية الجيدة؟ وهى:

- هل الرؤية توجهك نحو المستقبل (أنت أو/ ومؤسستك)؟
- هل ستؤدى لمستقبل أفضل (لك أو/ ومؤسستك)؟
- هل تعكس مثاليات عالية؟
- هل تبين الغرض والاتجاه؟ (لك أو/ ولرجال المؤسسة)؟
- هل تلهم الحماس وتشجع على الالتزام (منك أو/ ومن أتباع المؤسسة)؟
- هل هى طموحة بما فيه الكفاية؟

عُد بذاكرتك وانظر كيف كانت رؤية النبى للصحابة تجيب عن كل هذه الأسئلة وببساطة، ثم جاء من بعد النبى ﷺ ووعاها التابعون وتابعو التابعين ومن جاء من خلفهم. وعى محمد الفاتح ما قاله النبى عن فتح القسطنطينية وسعى نحو فتحها بعد تسعة قرون وعمره ٢٣ عامًا وكان واضحًا فى حياته فكان يقول:

●● نيتى: امتثالى لأمر الله، وجاهدوا فى سبيله،.

●● وحماسى: بذل الجهد لخدمة دينى، دين الله.

●● وعزمى: أن أقهر أهل الكفر جميعًا بجنودى، جند الله.

●● وتفكيرى: منصبٌ على الفتح، على النصر، على الفوز بلطف الله.

●● جهادى: بالنفس والمال، فماذا فى الدنيا بعد الامتثال لأمر الله؟

●● رجائى: فى نصر الله وسمو الدولة على أعداء الله.

- هكذا كان: محمد الفاتح.
- وهكذا كان: عمر بن عبد العزيز الذى استطاع تحقيق العدل فى شهور قليلة، فعاش الذئب مع الغنم، فكان صاحب المشروع الإصلاحى.
- وهكذا كان: مارتن لوثر كنج وهو يقول: «أنا أحلم...».
- وهكذا كان: عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) مؤسس دولة الأمويين بالأندلس بمفرده.
- وهكذا كان: عمر المختار الذى ظل يجاهد سنوات طويلة حتى لُقب بشيخ المجاهدين والشهداء قائلاً: «اللهم اجعل موتى فى سبيل هذه القضية المباركة».
- وهكذا كانت: هيلين كيلر المعاقة التى هزمت العوائق قائلة: الحياة إما مغامرة جسورة وإما لا شىء على الإطلاق.
- وهكذا كان: مهاتير محمد الذى حوّل عاصمة الطين إلى عاصمة النور الآسيوى (ماليزيا الحديثة) والذى يرى أن الإسلام ليس مجرد ممارسة مجموعة من الشعائر الدينية، بل منظومة متكاملة تصلح لجميع شئون الحياة.

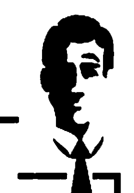
- **وهكذا كان:** يوسف بن تاشفين الذى استطاع أن يوقف زحف جيوش النصارى وأن يعيد ما استولوا عليه من الأندلس وعاش تحت ظل آية ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- **وهكذا كان:** ابن تيمية المدافع عن السنة المسجون حتى لا يكتم علمًا قائلاً: حبسى خلوة، وقتلى شهادة، ونفيى سياحة.

- **وهكذا كان:** نيلسون مانديلا الرجل الذى دخل التاريخ من بوابة السجن، رفض أن يعطى سجانيه ٣ كلمات وهى: «أنا أنبذ العنف» فعاش سنين بالسجن.

فماذا كان يمثل لأتباعه؟ يقول أحد زملائه فى السجن: يمثل مانديلا بالنسبة لى الحرية وقوة الإرادة وروح المقاومة وكل القيم التى يمكن ربطها بالإنسان. كان هذا الرجل يبث فى رفاقه الحماس والرغبة فى التغيير حتى تحقق التغيير فعلاً. ولذلك فإن مانديلا بالنسبة إلىَّ أيضًا: الأمل فى التغيير إلى الأفضل.

***



الخطوة الثانية: التحرك فى الميدان وتحويل الأمانى لأفكار وخطط عمل

التحرك المقصود: هو تحريك الوضع الحالى نحو الرؤية المستقبلية التى حددتَها وخططتَ لها لتنفيذها عمليًا فى الميدان، فالرسول ﷺ خطط منذ بدء الدعوة ليصل بالناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، سنون طويله فى مكة، دعوة وتعذيب، هجرة واستشهاد للأتباع، ومن بعدها سنون فى المدينة حيث الحروب والإصابات والجروح والمعاهدات والاتفاقيات حتى حقق رؤيته وأسلم أهل الجزيرة العربية.

كيف تم هذا 

بشروط ثلاثة هى:

الأول:

فهم الحاضر، وعدم التهرب من الواقع.

الثانى:

الماضى لا يمكن تغييره، فلا تدعه يثقل عليك ويدفع بك إلى الهاوية.

الثالث:

تقبل المجهول ومواجهة المستقبل بثقة.

وعمليًا .. كيف تحقق هذا التحرك وبشروطه؟

أولاً:

الاستعداد النفسى والتهيئة الذاتية*

فعندما يبدأ الإحساس بضرورة التغيير وبداية التفكير فى التخطيط لإحداثه تبدو معظم الأمور غير واضحة ولم تتبلور صورتها الكاملة. لذا تتمثل هذه الخطوة فى محاولة التأكد من قدراتك ومهاراتك الشخصية على تحمل مسئولية إدارة عملية التحرك والتغيير على المستوى الشخصى وعلى مستوى المؤسسة (إن كنت رمزًا لمؤسسة).

(*) بتصرف من: التغيير -أدوات تحويل الأفكار إلى نتائج، دانا روبنسون، جيمس روبنسون.

الهدف الأساسى من هذه الخطوة هو : البدء بك أنت كمسئول لهذه العملية ، واستكشاف مهاراتك ومدى استعدادك ذهنيًا لهذه العملية ، وتكوين صورة أولية عامة عن الميدان المطلوب التعامل معه ، وذلك من خلال إجابتك عن الأسئلة التالية :

١- صف باختصار الرؤية المستقبلية التى ستصبح محور هذا التحرك والتغيير :

. . . .

. . . .

٢- ما هدفك من التغيير الذى تريده؟

. . . .

. . . .

٣- ما الفرص الرئيسية المتاحة أمامك ومن الممكن أن تساعدك على تحقيق التغيير المطلوب؟

. . . .

. . . .

٤- ما المعوقات الممكن أن تحول بينك وبين تحقيق التغيير المطلوب؟

. . . .

. . . .

٥- مَنْ حولك ، مَنْ منهم سيعمل معك؟ ومَنْ منهم مصدر قوة أو مقاومة؟

الاسم	مصدر دعم	مصدر مقاومة

٦- هل لديك القدرة والمهارة على الاتصال بالآخرين والاستحواذ على قلوب الغير؟ إن لم تكن لديك هذه القدرة، فما خطتك لإتقان هذه المهارات؟

....

....

٧- ما الضغوط المتوقعة أو الناشئة عن التغيير المنشود؟ وكيف ستتعامل معها؟

أتوقع :

ضغط.................. وسوف أتعامل معه بـ..................

....

....

٨- يجب أن تتوافر بك صفات شخصية حتى تحقق التحرك والتغيير المطلوب وهى :

- الرؤية المستقبلية .
- القيم والثوابت .
- القدرة والإمكانيات الفنية المتخصصة .
- مهارات القيادة المؤثرة الفاعلة .
- العمل الجماعى وبناء الفريق .
- الاتصال والتواصل مع الغير .
- الإقناع .
- الابتكار والتجديد .
- الإنجاز .
- التفويض .

ماذا لديك منها؟



لا تقل عدد ٩ من ١٠، بل يجب الكل، فإن لم تجد بك صفة، أوجدها وأتقنها إتقانًا تامًا.

٩- يجب أن تكون الإجابة بـ (نعم) على التالى :

- لدىّ القدرة على تحديد المشكلات والأسباب بطريقة منظمة .
- أتحكم فى انفعالاتى وأحافظ على هدوئى فى مواقف الضغوط .
- أحرص على مشاركة الآخرين عند الضرورة .
- لدىّ القدرة على وضع أهداف واضحة وواقعية .
- أستطيع حفز من معى وحثهم على إظهار طاقاتهم وقدراتهم .
- أحصل على التزام الآخرين لما أعرض من أفكار ومقترحات .
- أبحث عن جميع المعلومات المتعلقة بالقرار .
- أتعامل بفاعلية مع تأثير الضغوط الواقعة علىّ .
- لدىّ القدرة الكافية على المحافظة على سير العمل .
- أحلل البدائل والأزمات والرؤية المستقبلية .
- أستطيع تحديد الفرص والحلول .
- يمكننى توصيل أفكارى ووجهات نظرى لمن معى بدقة ووضوح .
- لدىّ القدرة على تحديد الأولويات بفاعلية .
- أنجز الأعمال فى أوقاتها المحددة .
- يمكننى تحديد تأثير التحرك والتغيير على من معى .
- أحرص على خلق مناخ مشجع ومنفتح لاتخاذ القرارات .
- أستطيع التنسيق بين الأنشطة بفاعلية .



- أحدد الوقت المناسب لمراجعة مدى تقدم العمل .
- أناقش المشكلات بوعى وانفتاح .
- أرجع الأثر (Feed Back) الإيجابى والسلبى لمن معى .
- أحاول دائمًا بناء روح العمل الجماعى .
- أسمح بالوقت الكافى لإحداث التغيير .
- لدى خطة بأسوأ النتائج الممكنة إن حدثت ، وأعرف كيف أتعامل معها عندما تحدث .
- أعرف التصرفات التى يتوقعها الآخرون منى أثناء عملية التغيير .

ثانيًا:

اختيار وتكوين فريق العمل الأساسى للتحرك والتغيير:

يجب إنشاء بيئة آمنة للتحرك والبحث عن الأفراد الذين تثق بهم ثقة كاملة ومنهم سيتكون الفريق الداخلى للتغيير والذى ستختبر معه أفكارك وتتلقى منه التغذية المرتدة (تذكر محضن دار الأرقم بن أبى الأرقم وكيف كان النبى يختار من يدعوهم للإسلام وناتج هذا الاختيار حتى تمت الهجرة ، وتذكر موقف الخباب بن المنذر وطلبه تغيير مكان المعركة فى بدر) .

١ - ما مشكلة التغيير التى تواجهها؟

- المشكلة الرئيسية : ....
- المشكلات المرتبطة بالمشكلة الرئيسية هى : ....

....

- المشكلات الأخرى الخفية هى :

....

....

٢- مَنْ حولك من الأفراد منهم :

- صانع المشكلة : ....

- راعي المشكلة : ....

- حـلال المشكلة : ....

- المنبهر بعبقريتك والمنصت لأفكارك وآرائك حول المشكلة : ....

- الذي يراك دائمًا على حق : ....

- المهرج الذي يُضحك الملك ويُدخل عليه السرور والبهجة، ينقل لك الأخبار السعيدة فقط ويخفف عنك المصائب : ....

- الوصي والراعي الذي يخشى عليك من وقوع الضرر ويسارع دائمًا بتوجيه النصح والإرشاد لك : ....

- الوصيف الذي يحاول إقناعك بأن تتفرغ للتفكير والتخطيط وأن تترك له المهام المملة والمزعجة، هو هنا يستغل الفرص ليبسط سلطته وسيطرته هو وتوجيهه لمصالحه الشخصية ....

- حافظ الأسرار : ....

- الخادم الأمين : ....

- الخبير والمستشار : ....

- المبتكر المجدد الذي يتحمل المخاطرة : ....

- الملهم الموجه للآخرين : ....

- العملي الواقعي : ....

- التنفيذي الساعي دائمًا إلى النتائج : ....

- آخرون : ....

٣- مجالات التغيير التى ستتأثر بالمشكلة :

- أفراد : ....

- ثقافة : ....

- نظم : ....

- تكنولوجيا : ....

- مؤسسات : ....

- أخرى : ....

٤- ما الرؤية المستقبلية التى كونتها مع فريق العمل؟

....

....

٥- جوانب القوة والضعف فى أعضاء فريق العمل بالنسبة لهذه المشكلة التى تواجهها :

عضو فريق العمل	جوانب القوة	جوانب الضعف	سبل علاج جوانب الضعف

٦- أساليب الاتصال المستخدمة (أو الممكن استخدامها) مع فريق العمل :

- الاتصالات الهاتفية : ....

- الاجتماعات : ....

- النشرات الداخلية : ....

- استقصاءات : ....
- أخرى : ....

٧- كيف ستبدأ عملية التحرك والتغيير مع فريق العمل معك؟

....

....

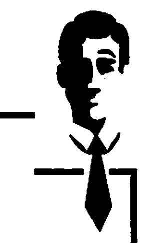
٨- الوقت المطلوب لتحقيق التغيير هو : ....

٩- أتوقع أن تكون تصرفات فريق العمل معى فى عملية التحرك والتغيير هى :

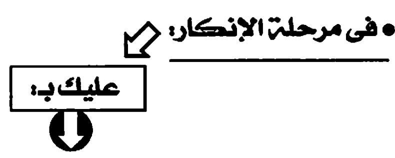
- **الإنكار**، وظواهره : الانسحاب ، التهرب من المسئولية ، الالتزام بأداء العمل بالطرق التقليدية ، الدفاع عن القديم ورفض التغيير .
- **المقاومة**، وظواهرها : الغضب واللوم والقلق والصراعات والاحباط .
- **الاستكشاف**، وظواهره : الإفراط فى الاستعدادات الشخصية ، الارتباك ، الخوف وكثرة الأفكار الجديدة ، زيادة الأعمال المطلوب إنجازها ، عدم القدرة على التركيز ، انخفاض مستوى القدرة على العمل ، التضارب فى المسئوليات .
- **الالتزام**، وظواهره : بناء فريق عمل ، تحديد الأهداف ، الرضى عن العمل ، وضوح الرؤية ، التعاون ، التنسيق ، التحديات الجديدة .

وسوف يكون توقعى مع كل فرد حسب المرحلة هو :

عضو الفريق	المرحلة التي يمر بها	ظواهر كل مرحلة حسب عضو الفريق	التعامل مع ظواهر المرحلة
	إنكسار مقاومة استكشاف التزام		



١٠- طرق التعامل مع المراحل فى عملية التحرك والتغيير :



- مواجهة الأفراد بالمعلومات والحقائق .
- التركيز على الإطار العام وتجنُّب التفاصيل الكثيرة .
- شرح ما سيحدث واقتراح الإجراءات التى يمكن أن يقوم بها عضو الفريق للتكيف مع التغيير والتحرك .
- إتاحة الوقت الكافى للأفراد .
- الحرص على عقد اللقاءات لتوضيح الأمور .

• فى مرحلة المقاومة:

عليك ب:

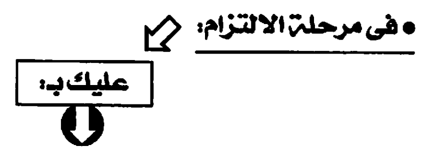
- الإنصات جيدًا للآخرين مع تقبل تصرفاتهم وتشجيعهم على إبداء الرأى والمناقشة .
- تأكيد وجوبية التعبير وأن عليهم قبوله أو الانسحاب .
- التشجيع على التعبير ، عن المشاعر والآراء .
- تجنب الدخول فى المبررات ومتاهات الماضى .

• فى مرحلة الاستكشاف:

عليك ب:

- التركيز على الأولويات الممكن إنجازها .
- تقديم الدعم الكافى بالتواجد الشخصى .
- مراقبة مدى تقدم العمل .

- التركيز على الأهداف قصيره الأجل لتشجيع الأفراد وتحميسهم نحو مزيد من التقدم واليقين بعملية التحرك والتغيير (نجاحات صغيرة قصيرة دافعة).
- توليد أفكار جديدة لمزيد من تشجيع الأفراد.
- تجنب الرفض السريع للأفكار.
- تشجيع الجهود المبذولة بكل الطرق المتاحة.



- إشراك كل المجموعة فى وضع أهداف طويلة الأجل.
- التركيز على المتميزين.
- مكافأة المستجيبين للتحرك والتغيير.
- وضع المعايير والنظم والسياسات العادلة للمكافأة والعقاب.

١١- هل الفريق متوازن وبه كل ما تحتاجه؟ أم تحتاج إلى مزيد من الأفراد أو استبدال بعض الأفراد؟



بناء خطة الاتصال للتحرك والتغيير:

١- أساليب الاتصال المتواجدة حاليًا هى:

- ....
- ....
- ....
- ....

٢- مدى جودة كل أسلوب من أساليب الاتصال فى الوصول إلى الهدف منه

الأسلوب	درجة تحقيق الهدف منه			مقترحات لرفع كفاءة أسلوب الاتصال
	عالية	متوسطة	منخفضة	

٣- الأساليب الحالية هل تشمل المعايير التالية :

- البساطة: وتعنى تجنب الأساليب المعقدة التى تستغرق وقتًا طويلاً؟
- التكرار: ويعنى تكرار الرسالة أكثر من مرة لأنها تستغرق وقتًا حتى تصل إلى الآخرين؟
- التناغم: ويعنى الحرص على أن تكون الرسالة متناسقة ومتناغمة وأن الرسالة لا تتغير بتغير الوسيلة؟
- الجاذبية: وتعنى استخدام الأساليب الجذابة مثل الصور والمحاكاة؟
- تنوع قنوات الاتصال: ويعنى استخدام مجموعة متنوعة من الأساليب مثل الأفلام والصور والخطابة وغيرها من الأساليب لنقل الرسالة نفسها؟
- اللغة المناسبة: وتعنى تخير اللغة المناسبة لكل فرد أو مجموعة، ومحاولة فهم واستيعاب لغة من تريد الوصول إليهم؟

٤- من هم الأفراد الذين ترغب فى الوصول إليهم؟

....

....

٥- ما أسباب رغبتك فى الوصول إليهم؟

....

....

٦- ما الرسالة التى تريد توصيلها؟

....

....

٧- ما الوقت الذى تريده لتوصيل الرسالة؟

....

....

٨- ما الأساليب التى ستستخدمها فى توصيل الرسالة؟

(أساليب قديمة ومستحدثة)

....

....

٩- ما تقييمك لجاذبية الأساليب التى تخيرتها؟

....

....

١٠- حدد أولويات استخدامك للأساليب:

- ....
- ....
- ....
- ....

١١- ما الفترة التى ستستغرقها فى إعداد حطة اتصالات فعالة؟

الوقت اللازم هو: ....

البداية: ....

النهاية: ....

التكرار (إن وجد): ....

١٢- ما الوقت الذى تحتاجه لتجهيز جميع متطلبات الخطة؟

....

....

١٣- هل يتفق هذا الوقت مع الوقت المتاح لك؟

....

....

١٤- هل لديك الإمكانات اللازمة (أفراد، أموال، تكنولوجيا)؟

....

....

١٥- من هم الأفراد المشاركون بالفعل فى إعداد وتنفيذ الخطة؟

الاسم	الدور

١٦- كيف يتم الاتصال بين هؤلاء الأفراد؟

....

....

١٧ ساذا ستفعل إذا كان تقييمك لاتصالاتهم أقل من المتوسط؟

. . . .

. . . .

١٨- راجع خطة الاتصالات مستخدمًا المعايير التالية:

المعايير	تنطبق	لا تنطبق	تحتاج إلى تطوير
البساطة			
التكرار			
تنوع الأساليب			
تنوع قنوات الاتصال			
اللغة المناسبة			

١٩- ما تقييمك الشامل لخطة الاتصال؟

هل هى جيدة؟: . . . .

هل تحتاج إلى تحسين؟: . . . .

هل راجعت تقييمك مع الآخرين؟: . . . .

٢٠- ما الإجراءات التى تحتاجها -أو تحتاج إلى تطبيقها- لتحسين خطة الاتصال؟:

الإجراء الأول: . . . .

الإجراء الثانى: . . . .

الإجراء الثالث: . . . .

الإجراء الرابع: . . . .



رابعًا: التعرف على القوى الدافعة والمعوقة لعملية التحرك والتغيير بالمجتمع:

١- ما المشكلة أو الأمور التى ترغب فى تغييرها فى مجتمعك فى الوقت الحالى؟

....

....

٢- ما الوضع المستقبلى الذى تريد الوصول إليه؟

....

....

٣- ما المتوقع من المجتمع؟

أ- القوى الدافعة لك نحو التغيير وتأثيرها: قوى، متوسط، ضعيف

....

....

....

ب- القوى المعوقة لك نحو التغيير وتأثيرها: قوى، متوسط، ضعيف

....

....

....

٤- ما القوى الأكثر سيطرة؟ هل هى قوة دافعة أم معوقة؟

القوى الدافعة المسيطرة هى: ....

القوى المعوقة المسيطرة هى: ....

٥- حتى يحدث توازن بين القوتين الدافعة والمعوقة لابد من .

مقترح ١-..

مقترح ٢-..

مقترح ٣-..

مقترح ٤-..

٦- لتغيير التوازن فى اتجاه الرمز وتقويته ، ولإضعاف القوى السلبية أو التخلص منها لابد من :

القوى التى تجب التخلص منها	التصرف الذى سأتخذه
....	....
....	....
....	....
القوى التى يجب تقويتها	**التصرف الذى سأتخذه**
....	....
....	....
....	....

٧- المسئول من فريق العمل عن كل تصرف تجاه هذه القوى

عضو الفريق	الإجراء الذى سيقوم به	الموارد التى يحتاج إليها	المتابعة



خامساً:

بدء التمهيد للتحرك (ما قبل المواجهة):

أجب بـ (نعم) عن كل الأسئلة التالية. فإن كان هناك إجابة بـ (لا) عن سؤال منها: عد إلى خطة وخطوات التحرك السابقة واستكملها:

- هل الرؤيةواضحة للجميع والهدف معلن وواضح لا لبس فيه؟
- هل الإجراءات والسياسات الحالية تدعم عملية التحرك؟
- هل هناك حالة من الرضا من الجميع لبدء عملية التحرك؟
- هل هناك انفتاح مع معارضى عملية التحرك؟
- هل وضعت مقاييس للتشجيع على توليد أفكار جديدة ربما تحتاج إليها فى أرض المعركة؟
- هل هناك تشجيع للعمل الجماعى وشورى منضبطة؟
- هل عملية الاتصال بين جميع الأفراد واضحة وفاعلة؟
- هل الجميع (الصف الأول والثانى) مشاركون فى عملية التحرك وملتزمون بالتطبيق؟
- هل تحتوى خطة التحرك على أهداف واضحة وواقعية؟
- هل الخطة مقدمة للجميع بأسلوب واضح ومفهوم؟
- هل هناك إتاحة فرصة للفريق لتغيير الجوانب التى يشعرون بأهميتها فى أعمالهم أثناء المواجهة؟
- هل هناك إمكانية لقياس مدى التقدم فى عملية المواجهة؟
- هل هناك خطط بديلة إن حدث سيناريو أسوأ ما يكون؟



هل هناك خطط بديلة إن حدث انقلاب مفاجئ من أحد أعضاء الفريق؟

- هل أنت الشخص المناسب لقيادة عملية التحرك؟

سادسًا:

شرارة الانطلاق:

إنها اللحظة المناسبة التى سوف يبدأ فيها التحرك والتغيير بالفعل .

اجتهدت وأخذت بالأسباب

> **توكل على الله، واحسب كل خطوة،**
> **وقيّم وعاير وحسّن فى الأداء باستمرار.**



تطبيقات عملية لـ:

تحديد النمط القيادى المطلوب وتحديد فعالية من حول الرمز

القيـــادة:

- هى القـدرة على التأثير فى الآخـرين وتوجيـه سلوكهم لتحقـيق أهداف مشتركة.
- هى عـمليـة تهـدف إلى التـأثير على سلوك الأفـراد، وتنسـيق جـهـودهم لتحقيق أهداف معينة.
- هى عملية كسب العقول والقلوب.

القـــائد:

هو الشـخص الـذى يسـتـخدم نفـوذه وقـوته ليؤثر على سلوك وتوجـهـات الأفراد من حوله لإنجاز أهداف محددة، هو بائع الأمل.

وقديما قال نابليون بونابرت: «جيش من الأرانب يقوده أسد، أفضل من جيش من أسود يقوده أرنب».

أى أن أهمية القيادة للرمز تكمن فى:

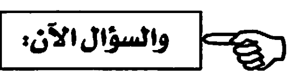
- أنها حلقة وصل بين الرمز ومن معه وبين خططه وتصوراته المستقبلية.
- أنها البوتقة التى تنصهر داخلها جميع المفاهيم والاستراتيجيات والسياسات.
- تدعيم القوى الإيجابية وتقليص الجوانب السلبية قدر الإمكان.
- السيطرة على المشكلات التى قد تحدث وحلها، وحسم الخلافات، والترجيح بين الآراء.
- أنها تسهل للرمز تحقيق أهدافه المرسومة.

وبالتالى فإن متطلبات القيادة هى:

- التأثير: القدرة على إحداث تغيير ما أو إيجاد قناعة ما .
- النفوذ: القدرة على إحداث أمر أو منعه ، وهو مرتبط بالقدرات الذاتية وليس بالمركز الوظيفى .
- السلطة القانونية: الحق المعطى للرمز فى أن يتصرف ويطاع .

وبالتالى فإن الرمز القائد: إصرار، إرادة، تخطيط.

- إصرار: يبث الفكرة المثالية التى يؤمن بها فى مجموعته ليحملهم على معاونته فى تنفيذ الفكرة رغم كل العقبات .
- إرادة: يريد ثم يعمل ويثير رغبة العمل فى نفوس من حوله ويوزع عليهم الجهود والمسئوليات لتحقيق ما أراد .
- تخطيط: يرى ويفكر ويعمل ويدفع إلى العمل فى سبيل المصلحة العامة .



هل أنت قائد 

١- اعرف نفسك من الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل تستخدم صلاحياتك وتطبق سلطاتك؟
- هل يشعر أفرادك بالأمن والقوة إلى جانبك؟
- هل تتميز بحيوية ونشاط دائمين وتضحية كبيرة ومواهب مميزة؟
- هل تتميز بالحضور فى كل زمان ومكان؟

- ما قيمة الخدمة الاجتماعية عندك؟ وهل تعرف ما حاجات الناس من حولك؟
- هل لديك القدرة على التركيز الذهنى؟
- هل لديك القدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات؟
- هل لديك ثقافة أفقية عريضة + امتداد عمودى متخصص؟
- أيهما أولى عندك: كسب القلوب أم كسب الموقف؟
- هل تعترف بالخطأ وتراجع قصورك الذاتى دائمًا؟
- هل أنت أكثر يقظة من الآخرين حتى ترى الخطر وسبل تلافيه؟
- هل أنت أكثر ذكاء لتفهم العمل بشكل ممتاز؟
- هل أنت أكثر دقة وتجردًا فى الحكم لتضع كل فرد فى مكانه الذى يستحقه؟
- هل أنت سريع فى اتخاذ القرار ليكون العمل منفذًا فى الوقت الملائم؟
- هل أنت الأشجع فى الأخطار لتبث الشجاعة فى كل فرد حولك؟
- هل أنت أكثر صراحة لتذيب الخوف والخجل من قلوب مَنْ حولك؟
- هل أنت أكثر دماثة وغنى بالعواطف النبيلة لتكون إنسانًا قادرًا على جمع القلوب وتوحيدها؟
- هل أنت ملتزم بمداومة الدراسة والتعلم لتحسين أدائك فى التخصص؟
- هل أنت قدوة حسنة لغيرك ممن حولك؟
- هل أنت محافظ على لياقتك البدنية؟
- هل تملك مقدرة على تحديد الأولويات ووضع الخطط؟
- هل تملك مقدرة على تنفيذ الخطط التى وضعتها؟
- هل أنت على وعى بالمسئولية المناطة بك؟



- هل تعرف موقع مسئولياتك على حارطة الرؤية العامة للمؤسسة التى تمثلها؟
- هل أنت على علم بإجراءات العمل ولك مقدرة على تطويرها؟
- هل تتكيف مع المتغيرات التى تواجهها؟
- هل تتقبل المخاطرة وتقوم بالأعمال التى تصعب على الآخرين؟
- هل تصمد أمام المخاطر والصعوبات؟
- هل تملك مهارة شحذ همم الآخرين؟
- هل تستطيع إلهام الآخرين معانى التميز والالتزام؟
- هل لديك اهتمام عميق بالآخرين، وتُظهر مهارات شخصية واجتماعية جيدة؟
- هل تتمتع بالتوازن وعدم التناقض الداخلى (تعيش بأكثر من شخصية داخلك)؟
- هل تتعامل مع نفسك ومع الآخرين بصدق وأمانة؟
- هل تركز على المحصلة النهائية للأمور المرغوبة؟
- هل لديك القدرة على تحمل الإجهاد والضغوط؟
- هل تعتبر نفسك مؤثرًا وإيجابيًا فى نطاق الأسرة، الأصدقاء، العمل؟
- هل تعرف أهم المهارات التى تحتاج إلى تعلمها لكى تنجح فى مهمتك؟
- هل مهاراتك التفاوضية جيدة؟
- هل لديك القدرة على عرض وتقديم أفكارك للآخرين؟
- هل لديك القدرة على التخطيط لحياتك؟

العبارات السابقة (أربعون عبارة) تقدم البنية الأساسية للقائد فى أى مجال من مجالات العمل. أما عمل الرمز فالمسئولية أشد وأقسى، لذا فإن عليه أن يعرف نمطه القيادى عند التحرك والتغيير والنمط الذى يحتاج إليه حتى يُطور من نفسه ولا يدع الآخرين يتحكمون فى حياته.



٢ النمط القيادى فى عملية التحرك والتغيير:

فى العبارات التالية حدد بوضوح وصراحة ما إذا كانت تنطبق عليك من عدمه:

م	العبارات	تنطبق	لا تنطبق
١	لا أميل إلى تكليف الآخرين بعمل ما لا يمكننى القيام به بنفسى.		
٢	إذا كان هناك مجال للخطأ سوف يحدث هذا الخطأ بالفعل؛ لذلك فأنا مسئول عن اكتشاف هذه الأخطاء.		
٣	لدىّ القدرة على إدارة وقتى بفاعلية وبالتالى أخصص عشر ساعات أسبوعيًا على الأقل للتفكير فى المستقبل.		
٤	فئة قليلة فقط هى التى لا تتقبلنى كرئيس لها.		
٥	أكرس كل وقتى للعمل، وبالتالى تشعر أسرتى بالمعاناة من ذلك.		
٦	أريد تمامًا الاستثمار المستمر فى تحفيز وتدريب فريق الإدارة.		
٧	أشعر بسعادة بالغة لمشاركتى فى العمل بنفسى.		
٨	أحيانًا ما تكون الطريقة الوحيدة لإنجاز عمل ما هى أن تقوم به بنفسك.		
٩	أعتمد إلى حد كبير على إطلاع المستويات الأدنى على ملخص الأعمال.		
١٠	أقضى أقل وقت ممكن فى عمليات الإدارة اليومية.		
١١	أتعامل يوميًا مع أكثر من عشرين مشكلة محتملة؛ فدورى هو معالجة وحل مثل هذه الأزمات قبل وقوعها.		
١٢	عادة ما أكون أول من يصل إلى المكان أو العمل وآخر من يغادره.		
١٣	أركز أساسًا على الرؤية العامة؛ فأنا لا أميل إلى التفاصيل.		



م	العبارات	تنطبق	لا تنطبق
١٤	وظيفتى هى اتخاذ القرارات المتعلقة بعملى، وأنا أجيد هذه العملية.		
١٥	لا أميل إلى وضع الحواجز بينى وبين الآخرين؛ فأنا عضو فى فريق عمل.		
١٦	أقضى ما يقرب من ٧٥٪ من وقتى فى الأعمال الإدارية الروتينية.		
١٧	بالرغم من محاولتى القيام بالعمل مع الآخرين، إلا أن دورى هو دعم فريق العمل وفريق الإدارة.		
١٨	لا أعتقد أن هناك من يشكو من عدم توجيهى له فى العمل.		
١٩	أؤيد تمامًا العمل بأسلوب التدخل فى كل شىء.		
٢٠	أركز على التأكد من استخدام كل فرد لوقته أفضل استخدام ممكن.		
٢١	أعتقد أن التفكير والتخطيط لعام مقبل هو أمر مناسب ومقبول.		
٢٢	أقضى ما يقرب من ثلث وقتى فى الأعمال الروتينية، والثلث الثانى فى تحفيز العاملين معى، والثلث الثالث فى التفكير المستقبلى.		
٢٣	أميل إلى الاعتماد على الاتصالات الفردية وجهًا لوجه وأيضًا المكتوبة.		
٢٤	أؤيد أسلوب العمل فى المؤسسة التى أمثلها؛ فنحن بحق متميزون.		
٢٥	أفضل أن يعاملنى الآخرون على أننى قائد أسطورى.		
٢٦	أفضل الاعتراف بجهودى وتشجيع الآخرين لى.		
٢٧	أتعامل بنفسى مع الأفراد غير الراضين عن فكرى أو تصرفاتى.		

م	العبارات	تنطبق	لا تنطبق
٢٨	تبرز قدراتى ومهاراتى أثناء الأزمات.		
٢٩	أشعر بالفخر عند إنجاز عمل ما على أكمل وجه.		
٣٠	أغرق فى التفاصيل ولا أجد الوقت الكافى للتفكير فى التطوير الاستراتيجى المستقبلى.		
٣١	إذا سألت الآخرين عن مهاراتى القيادية ستكون إجابة معظمهم أنهم يقودون أنفسهم بأنفسهم.		
٣٢	نتيجة لعدم خبرة الفريق الذى يعمل معى، يبدو واضحًا وجود قائد وتابعين.		
٣٣	أعتمد على الاتصالات الرسمية فى تحقيق أغراض معينة.		
٣٤	أقضى وقتًا طويلاً فى تقديم النظم الإدارية اللازمة لضبط عمليات التشغيل والأفراد.		
٣٥	أحاول القيام بأعمال جديدة للمستقبل.		
٣٦	يهتم معظم الأفراد بالمهارات التى تتطلب مهاراتهم الفنية.		
٣٧	أقضى الكثير من وقتى فى برامج التنمية الذاتية وغالبًا ما يطلب الآخرون مساعدتى.		
٣٨	لقد استثمرت الكثير فى محاولة تدريب فريق العمل وإجبارهم على تجربة طرق العمل الجديدة.		
٣٩	من أكثر التحديات التى أستمتع بها هى تكوين فريق العمل الماهر والمدرب.		
٤٠	البقاء هو الاسم الحالى لعالم اليوم.		

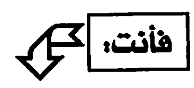
والآن أمام رقم كل عبارة فى الجدول التالى سجل لنفسك درجة واحدة للعبارة التى أجبت عنها بـ«تنطبق» ولا تسجل شيئًا أمام أرقام العبارات التى أجبت عنها بـ«لا تنطبق».

القائد الماهر		القائد الأسطورى		القائد الفضولى		القائد الاستراتيجى	
رقم العبارة	الاستجابة	رقم العبارة	الاستجابة	رقم العبارة	الاستجابة	رقم العبارة	الاستجابة
١		٤		٢		٣	
٧		٩		٥		٦	
٨		١١		١٢		١٠	
١٥		١٤		١٦		١٣	
٢٠		١٨		١٩		١٧	
٢٤		٢١		٢٣		٢٢	
٢٩		٢٥		٢٧		٢٦	
٣٣		٢٨		٣٠		٣١	
٣٦		٣٢		٣٤		٣٥	
٤٠		٣٧		٣٨		٣٩	
إجمالى		إجمالى		إجمالى		إجمالى	

والآن على كم حصلت من درجات؟

الرقم الأكبر هو النمط الغالب عليك فى قيادتك لعملية التحرك والتغيير. فإن كنت حصلت على الرقم الأكبر فى:

القائد الماهر



- لا تنشغل بتفاصيل المهام الإدارية الروتينية.
- ينخفض لديك مستوى مهارات العمل والموارد الإدارية نظرًا لقيام معظم الأفراد بالمهام الرئيسية.
- تعتبر نفسك أحد أعضاء الفريق.

- تركز اهتمامك على مخرجات ما تقوم به من عمل، وعلى الذين يستفيدون من هذا العمل.

- اهتمامك محدود بالاتصالات وتقييم وتطوير الفريق.

- يُعتمد عليك فى الأعمال، وإذا سيطر عليك هذا النمط، ستنعكس آثاره على تطوير أعمالك؛ حيث سوف يقيد جهود النمو المتوقعة.

- لا يوجد لديك فريق حقيقى للإدارة.

- محدود فى الممارسات الإدارية.

القائد الأسطورى:

فأنت:

- تقضى وقتك فى إدارة العمل.

- تبادر بوضع الإجراءات الروتينية للعمل بالرغم من انخفاض مستوى مهارة الأفراد.

- تحرص على تطوير مستوى مهاراتك فى العمل، وتحصل على الأفكار وتقدمها للآخرين.

- يُنظر إليك من حولك على أنك بطل أسطورى.

- الوحيد الذى يعرف مجريات الأمور.

- تُظهر مهاراتك فى أوقات الأزمات.

- تحتفظ بالمهام الأساسية المهمة لنفسك نظرًا لعدم وجود الكفاءات التى يمكنها التعامل مع هذه المهام بمفردها.

- لا تهتم بتدريب الآخرين على اتخاذ القرارات بأنفسهم.

- لديك القدرة على تطوير الأداء ولكن بمعدل نمو أقل من المعدلات التى تتطلبها البيئة المحيطة بك.



- ليس لديك الوقت الكافى للتفكير الاستراتيجى المستقبلى أو للتعامل الفعال مع التغيير المطلوب .
- سوف تكون مصدر تهديد لنفسك أو تتحول إلى قائد فضولى تتدخل فى كل شيء ، ما لم تتمكن من تكوين فريق آخر من الأبطال .

القائد الفضولى:

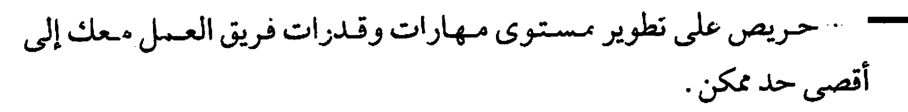
فأنت:

- تعمل على رفع مستوى المهارات الإدارية إما عن طريق التدريب أو التعيين ، إلا أنك لا تتمكن من تسيير الأمور والمهام الروتينية .
- تقضى الكثير من وقتك فى تعديل واقتراح النظم الإدارية التى قد لا تكون ضرورية .
- تقضى معظم وقتك فى متابعة ومراقبة من تفوضهم فى الأعمال ممن حولك ، ومراقبتهم وتتدخل لمنع حدوث أخطاء .
- حريص على القراءة والاطلاع لتصبح أكثر معرفة .
- أول من يتواجد فى العمل وآخر من يغادره ، ومشكلتك الرئيسية هى تسيير الأعمال الروتينية .
- تحد من إمكانيات وضع استراتيجية فعالة للتحرك والتغيير بتدخلك فى أعمال الآخرين ومراقبتهم .

القائد الاستراتيجى:

فأنت:

- أكثر الأنماط ملاءمةً لعملية التحرك والتغيير .
- قادر على رؤية المستقبل ، والمحافظة على استمرارية سير عملية التحرك والتغيير وتقدمها ، وتحفيز وإعطاء الصلاحيات الكاملة للأفراد .



.. حريص على تطوير مستوى مهارات وقدرات فريق العمل معك إلى أقصى حد ممكن .

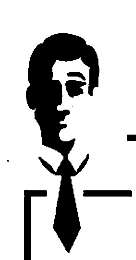
- حريص على تخصيص الجزء الكافى من وقتك ووقت الأفراد المتميزين فى فريقك للتفكير الاستراتيجى المستقبلى .

- حريص على تخصيص ما يقرب من ثلث وقتك للمتابعة وحل المشكلات ، والثلث الثانى لتحفيز وتطوير وتوجيه الأفراد بمن فيهم فريق الإدارة ، والثلث الثالث للتفكير الاستراتيجى .

المطلوب من الرمز:

الوصـــــول تـدريجيًـــا إلـــى

هذا النمط.. القائد الاستراتيجى.



٣- ما مصادر القوة القيادية لديك؟ وكيف وتستخدمها؟

هل تستخدم: 

قوة الحضور الشخصى:

حيث الصفات الشخصية التى تميل لخلق شخص لطيف وجذاب وديناميكى وحلو العشرة والمصاحبة . . . وغير ذلك. كما يمكن أن يكون مَنْ حولك شاهداً على نجاحك وما يعنيه ذلك من ذكاء وخلق ومهنية . . . وبالتالى ينجذب إليك الآخرون ويخضعون لتأثيرك، أم أن قوتك ناتجة عن موقع أنت متميز فيه وبالتالى استتبع ذلك الاحترام والتبعية؟

قوة المعلومات:

المعلومات فى حد ذاتها مصدر للقوة، فهل تستخدم ما تكسبه من معلومات فى دعم الآخرين والتأثير عليهم؟

قوة المصاحبة:

قوة المعلومات تسهل تدفق معلومات أكثر فيسهل تزايد القوة والنفوذ وبالتالى تحريك المعلومات فى الاتجاه المراد والمرغوب، فيزيد أنصار شخص ما بزيادة نفوذه ومصاحبته.

القوة الشرعية القانونية:

مستمدة من التنظيم الرسمى الذى يمثله، والسلطة القانونية هى القدرة على التأثير النابعة من شغل المنصب.

قوة الخبير:

الناس يمكن أن يتبعوا أى شخص لمجرد أنه يمتلك مستوى أعلى من المعرفة والحكم الشخصى والخبرة العملية الملائمة لموقف معين.

فالسياسى الخبير لا يصلح إلا لموقف سياسى.

والداعية الخبير لا يصلح إلا لموقف دعوى.. وهكذا.

قوة القهر والإجبار:

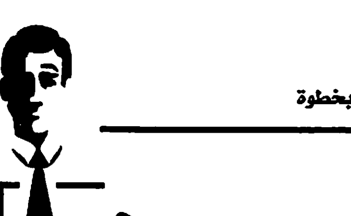
تأتى هذه القوة نتيجة العقوبات والجزاءات على من حول الرمز لعدم قبولهم تأثير القائد الرمز. وببساطة يكون الأمر: من معى؟ ومن علىّ؟ ماذا يستفيد الشخص الذى يتعاون معى؟ وماذا يخسر الشخص الذى يرفض التعاون معى؟

كل القوة والمصادر السابقة سهل الحصول عليها باستثناء قوة الحضور الشخصى، وهى أساسية ليقود الرمز أو بالأحرى لتساعد الرمز فى قيادة من معه ويحقق هدفه فى معركة التحرك والتغيير. قوة الحضور الشخصى أو الجاذبية الشخصية أو كيفية إلهام الآخرين والتأثير فيهم هى الأساس، فكيف لك أن تصل إليها إن لم تكن لديك؟

الرمز الجذاب:

هو من يمتلك شخصية آسرة، ساحرة وملهمة للآخرين تأخذ بنواصى قلوبهم وتجبرهم على تقديم الاحترام والمودة والاقتناع بما يقول أو يتحدث، وينجذب الناس لهذه الشخصية لأن:

- هذه الشخصية تترك انطباعات عاطفية إيجابية لديهم، لأنهم يرون شيئًا جميلاً.
- الشخص يفتخر بقربه من شخصية جذابة حلوة المعشر.
- الشخص الجذاب أكثر ودًا ولطفًا فى المعاملة.
- العمل مع شخصية جذابة يوقد الحماس فى النفس ويستنفر الطاقات.





والسؤال الآن:

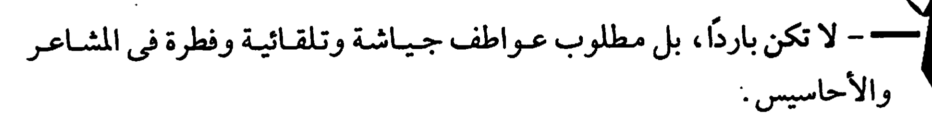
كيف يؤسس الرمز لنفسه جاذبية شخصية؟

الأصل هنا: وجود خبرات وسمعة طيبة، ثم تسد الجاذبية الشخصية بعض النقص فى المهارات والخبرات التى يحتاجها ولكنها ليست بديلاً عنها.



ثم:

- **عدم الفظاظة فى التعامل:** ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- **استخدام الكلمات والجمل المبهجة الحيوية التى تعلق بذاكرة الناس فيتداولونها** ويكررونها بينهم بسعادة وابتهاج، كلمات وجمل قوية مؤثرة مثل الأحاديث التى كان يستعملها زعماء مثل جمال عبد الناصر وأنطونيو... كل حسب مجاله وتخصصه.
- **الإكثار من التشبيهات والمجازات:** فالتشبيه مقارنة بين شيئين مثل: يجب أن يثق بنا الناس مثلما يثقون بالأطباء، والمجاز هو عقد مقارنة بين شيئين لا علاقة لأحدهما بالآخر مثل: نقابتنا سيارة ذات أربع عجلات، ولا يمكن أن تسير إذا تعطلت واحدة منها، فليستعد الجميع لأننا سننطلق بأقصى سرعة.
- **رواية القصص والنوادر والحكايات التى تجعل الحديث شيقًا وأكثر قابلية للفهم.**
- **فهم المواقف بطريقة تختلف عن الآخرين،** والنظر إلى الأمور من زاوية تختلف عن وجهة النظر العادية.
- **عدم تقبل الأوضاع الراهنة على ما هى عليه،** بل محاولة إيجاد طرق جديدة ومخارج مبتكرة للوصول للهدف.
- **الإيجابية والمبادرة الدائمة فى الأمور** حتى فى المواقف السيئة المتأزمة يتم التصرف فيها بنشاط وإيجابية.



- لا تكن باردًا، بل مطلوب عواطف جياشة وتلقائية وفطرة فى المشاعر والأحاسيس.
- تفهم لغة جسد من حولك والإيماءات والإشارات، وتعامل معها بإتقان.
- ثم ثقتك بنفسك؛ فأصحاب الثقة بالنفس ينقلون العدوى بالثقة إلى الآخرين فيشعلون حماستهم بالأمور.
- تسلح بالبيانات والمعلومات.
- لا تعط ردودًا نهائية أو وجهات نظر محددة، خاصة فى الأمور الإنسانية وغير الشرعية.
- كوّن شبكة من العلاقات غير متناهية.
- ابحث عن احتياجات من حولك ووفرها لهم قبل أن يطلبوها.
- كن ناصحًا أمينًا عند تقديم النصح للآخرين؛ فالناصح معلم وصديق.
- خاطب الأرواح فى الناس لا الماكينات والآلات.
- اكسب احترام بالمساواة والعدل فى التعامل، وتحمل المسئولية فى أسوأ الظروف.
- المشاعر الصادقة والابتسامات الصافية والبشاشة.
- تقبل النقد واستفد منه.
- استثمر الجلسات الخاصة غير المرتبطة بطبيعة العمل مثل: الرحلات، السمر. . .
- اهتم بمظهرك واظهر بحيوية ونشاط دائمين.
- تمسك بروح الدعابة والمرح المستمر دون هزل، مع توظيف هذه الدعابة والمرح بـ:
  - العفوية والتلقائية وليدة اللحظة.
  - عدم السخرية من الآخرين أو اللجوء للكذب.
  - السخرية من الذات (بدون أن تتمادى فى الحط من قدر نفسك).
- تذكر فى النهاية أن الناس ترى وتحكم بعواطفها، ثم تدافع عن آرائها بعقولها(*).

(*) للمزيد فى هذا الجانب يُراجع كتاب: فن احتواء القلوب، سلسلة ارسم حياتك للمؤلف.



٤- قياس فعالية من حولك.

الرمز يحتاج كل فترة أن يعرف من حوله ممن يساعدونه فى سبيل الوصول برسالته ورؤيته إلى ما يريد، عليه أن يقيس فعالية أداء العاملين معه وأن يحدد الفعالية لأدائهم. وللوصول إلى قياس عملى لهذا الأمر عليك باتباع الآتى :

أ- تحديد اسم الشخص : الاسم : . . . . .

ب- تذكر جيداً هذا الشخص، واحذر التحيز ، وانشد الموضوعية، واحذر تأثير مشاعرك السلبية تجاه الشخص .

جـ- اعط كل عبارة درجة تتفق مع أداء الشخص حسب المقياس التالى :

غير موافق إطلاقًا = صفر

غير موافق = ١

غير موافق إلى حد ما = ٢

موافق إلى حد ما = ٣

موافق = ٤

موافق تمامًا = ٥

ء- حدد الدرجات على العبارات التالية :

م	العبارة	غير موافق إطلاقاً	غير موافق	غير موافق إلى حد ما	موافق إلى حد ما	موافق	موافق تماماً
-١	يعتبر الشخص مصدراً خصباً فى التعرف على طرق التغلب على عقبات أدائه لعمله.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٢	يحقق الشخص عادة نتائج ممتازة.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٣	يؤدى الشخص عمله الحالى بمستوى فوق المتوسط على الأقل.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٤	من المحتمل أن يكون الشخص قادراً على التوصل إلى إجراءات وأفكار مبتكرة ومتجددة.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٥	يكتشف الشخص غالباً طرقاً لأداء المهام الحالية بحيث تكون أكثر فعالية من الطرق المستخدمة.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٦	يستغرق الشخص وقتاً/ مجهوداً أقل من المتوسط اللازم لأداء عمله/ مهمته.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٧	من المحتمل أن يظل الشخص بجانبى (أو فى مهمة عمله) لمدة عامين أو أكثر.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٨	يسهم الشخص عادة بشكل جيد فى المهام التى تستلزم فرق عمل.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-٩	يؤدى الشخص عمله عادة بشكل صحيح من المرة الأولى.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١٠	لدى الشخص القدرة على التوافق والقيام بالمسئوليات الإضافية.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١١	من الصعب أن يحل محل الشخص شخص آخر ليؤدى عمله بنفس الجودة.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١٢	يؤدى غياب الشخص إلى انخفاض ملحوظ فى الإنتاجية.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١٣	من المحتمل أن يجد الشخص عملاً ذا مستوى أعلى فى مكان آخر لدى رمز آخر.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١٤	يؤدى الشخص عمله فى الوقت المحدد.	٠	١	٢	٣	٤	٥
-١٥	يمكن للشخص أن يترقى لأعلى نتيجة لكفاءته.	٠	١	٢	٣	٤	٥

هـ- اجمع أرقام العبارات التى حصلت عليها للشخص وحدد:

الإنتاجية الحالية وهى تشمل مجموع العبارات من (١) إلى (١٥)

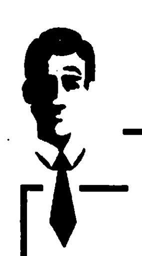
الإنتاجية الكامنة وهى تضم ما حصلت عليه العبارات أرقام ٤، ٧، ١٠، ١٣، ١٥ وضعها على المحورين الرأسى والأفقى التاليين :

الإنتاجية الحالية	
العبارة رقم	الدرجة التى حصل عليها الشخص
١	
٢	
٣	
٤	
٥	
٦	
٧	
٨	
٩	
١٠	
١١	
١٢	
١٣	
١٤	
١٥	

الإنتاجية الكامنة	
العبارة رقم	الدرجة التى حصل عليها الشخص
٤	
٧	
١٠	
١٣	
١٥	

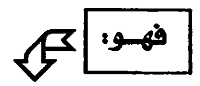


و- وضع المجموع على الشكل التالى:



فإن كان وصل إلى:

النجم المتألق:



- يحقق أعلى إنتاجية، ولديه أعلى طاقة ممكنة.
- فى حاجة لأن تثنى عليه وتدعمه حتى يصبح نموذجًا ومثالاً أمام باقى زملائه الأقل فعالية، وهذه هى الاستجابة الإدارية المثلى.
- يلزمه تحديد النتائج المرغوبة منه كتابةً.

بالغ الجهد والاجتهاد (حصان شغل):

فهـو:

- يعتبر نصف القوى العاملة معك.
- يستحق نصف طاقة الرمز.
- يقل التزامه بالعمل فى حالة عدم تقديره، لذا فإن تجاهله مكلف للغاية.
- فرد له رغبات وقدرات، وتجب معاملته على هذا الأساس.

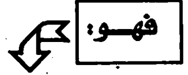
الحدى:

فهـو:

- شاذ جدًا فى أدائه، وغريب الأطوار.
- يلزم الحذر من الوقوع فى مصيدة الاعتماد عليه، تمامًا فى أمور ما.
- يصل إلى درجة مقبول، إذا وازنت مجهودك معه فى أدائه.
- لن يغير من نفسه كليةً، ولن يستقر على وضع ثابت. استفد منه كما هو، ولا تضيع وقتك وجهدك فى إنجاح علاقتك معه.

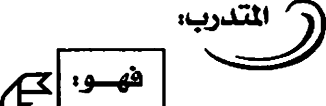
المثير للمشكلات (الطفل):

فهــو:



- يبدو وكأنه يحاول انتزاع الهزيمة من بين فكى الانتصار .
- يتطلب منك مواجهة كل واقعة بمفردها معه بطريقة عقلية .
- يحتاج إلى عدم التسامح معه دومًا حتى لا يصبح السلوك غير الملائم نمطًا متبعًا .
- لا تنتظر حدوث مصيبة يقوم بها حتى تستغنى عن خدماته .

المتدرب:



فهــو:

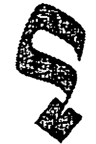
- اكتسب سلوكيات وصفات معينة سابقة نتيجة سوء التوجيه ممن سبقك فى التعامل معه .
- يصعب تغيير السلوكيات التى اكتسبها ، ولكن عليك الاستمرار فى التعديل حسب المطلوب للعمل أولاً بأول .
- يحتاج إلى البساطة والتدرج فى المهام التى توكلها إليه .

الأعشاب الضارة:

فهــو:

- يجب التخلص منه فوراً وألا تتعامل معه على أساس أنه «شر لابد منه» أو «معطيات المرحلة» أو «عموم البلوى» .
- يؤثر على مصداقيتك تجاه باقى المعاونين أو المحيطين بك فى حالة وجوده معك .
- مكلف جدًا جدًا فى حالة الاحتفاظ به ، وأنت الخاسر الأول فى التعامل معه ، ثم المؤسسة التى تمثلها .

كيف تصنع من نفسك رمزاً مثل هؤلاء....؟



رموز فقهوا معنى الرمز





هل الواقع من حولك جميل؟

هل لايحتاج أحد إليك؟

هل لايحتاج الدين والأمة لجهودك؟

حتى وإن كان هذا صحيحًا -وهذا بالتأكيد غير صحيح- فانظر إلى أبى أيوب الأنصارى حين غزا وهو فى الثمانين من عمره وعندما سُئل قال: «انفروا خفافًا وثقالاً» . . فى الثمانين ولايجد لنفسه عذرًا عند الله عز وجل، فكيف بمن هم فى مرحلة العطاء؟ هذا إن لم يكن هناك من يستحق جهودك وعطاء؟ . فحسبك أنه ليس لديك عذر .. أما الواقع الفعلى فأليم، واقع الأمة مرير وخطبها جسيم ومسئوليتك إزاء هذا ضخمة، وعلينا جميعًا عبء إخراجها من عثرتها، وهذه المسئولية ليست فقط ملقاة على عاتق أولى الأمر ورموزها فى التخصصات المختلفة وفقط، ليس لك خيار؛ فكل مسلم مسئول أمام الله عز وجل، وهذا هو قدره حيث يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال تعالى أيضًا: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٣٨-٤٢] فكل إنسان وُلد فردًا وكُلف فردًا وسُيقبر فردًا ثم يُبعث فردًا وسيقف بين يدى الله عز وجل ليسأله:

- ماذا احتاج المسلمون وأمتك وبخلت به عليهم؟
- **ماذا احتاج أهل تخصصك وركنت إلى الراحة بدلاً من عونهم؟**
- **ماذا احتاج مجتمعك من إيجابية ورأيت أن تكون سلبيًا أفضل لك بدلاً من الجهد والتعب؟**

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

هذه المسئولية تفرض على كل فرد أن يبادر إلى العمل فى مجاله دون الالتفاف إلى الآخرين هل عملوا أو لم يعملوا، هل أدوا واجبهم أم تراخوا، هل قاموا بالأمانة أم تكاسلوا. وتأكد أن من نعم الله عز وجل عليك أنه لم يكلفك بالثمرات والنتائج وإنما بالاحتساب والعمل على قدر الوسع والاستطاعة حيث يقول: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ولكى يتم ذلك لابد من:

١- الإعداد الذاتى:

التربية الذاتية الفردية ليست هينة ولا سهلة؛ فهى تحتاج إلى الصبر على شوائب الطريق وفقد الرفيق، والمثابرة فى إعداد النفس والسير على ذلك بخطى متدرجة متكاملة حتى يصبح لك فى مستقبلك شأن ويكون لك فى التأثير فى غيرك نصيب.

وإن كنت تريد نموذجًا فلدينا نموذج النبى ﷺ فى هذا الأمر ومن بعده صحابته الكرام، وحتى فى عصرنا هذا نجد نماذج طيبة كافحت واجتهدت حتى وصلت للهدف من الصفر وحتى القمة، حتى نصل لهذا الإعداد إذن لابد لنا من:

١- **إعداد عملى:** انظر للنبى حينما كان يخلو فى غار حراء، جاءه جبريل فقال: اقرأ فقال: **ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١، ٣] - رواه البخارى.

تأمل أول كلمة أُنزلت على الرسول كلمة «اقرأ» فنحن أمة «اقرأ»، ثم تكررت وتغلغلت فى تكوين الرسول حتى وعاها ومن بعده وعاها الصحابة والتابعون.



حتى أن البخارى وضع عنوانًا لباب العلم فقال: «باب العلم قبل القول والعمل».

وعليه فإن كل عمل وكل دعوة لا تقوم على العلم دعوة ناقصة فيها من الخلل والقصور الشيء الكثير، وقد تُفسد أكثر مما تصلح، وقد تجلب على صاحبها ومجتمعه عواقب وخيمة وموجعة. ولذا فإن الفقه فى الأمور يتطلب نفسًا جادة طموح تتحمل مشاق تعلمه ومعاناة طلبه وتعب تحصيله، وهو مطلب ضرورى ملح للبناء الذاتى للرمز المسلم.

والتحصيل العلمى مطلب لا غنى عنه لأى رمز يُعد نفسه ويُهيئها لنفع أمته ليكون بصيرًا فى تخصصه، عالمًا بما يريد التأثير به فى غيره، مثمرًا فى عمله، ناجحًا فى أسلوبه، ثابتًا فى مسيرته. ولهذا كان قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه «تفقهوا قبل أن تسودوا». وأيًا كان الثغر الذى تقف عليه فكل ثغور المسلمين يجب أن تُسد - فاحذر أن يؤتى المسلمون من تلك الثغرة.

٢- الاستعانة بالله والثبات على الطريق:

الاستقامة على هذا الدين والصبر على عقبات الطريق وتكاليفه تحتاج إلى زاد ووقود يشحن الطاقات ويغذى القلوب للاستمرار والثبات، ولا قود لك كقيام الليل وترتيل القرآن بالسحر، انظر للرسول وربه يقول له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ١- ٥].

قم للأمر العظيم الذى ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك.

قم للجهد والنصب والكد والتعب.

مضى عهد النوم فتهيأ للأمر واستعن على ما سيواجهك من أعباء العمل ومشكلاته بالعبادة المتواصلة.

وهذا ما قاله النبى للسيدة خديجة وهى تدعوه أن ينام ويطمئن: «**مضى عهد النوم يا خديجة**».

أجل مضى* عهد النوم ولم يبق لك إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق.

والصاحب لك فى هذه الرحلة، رحلة المشاق هو الله عز وجل وعباداته.

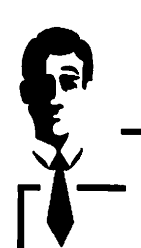
والصاحب لك فى هذه الرحلة، التقوى ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ [البقرة: ١٩٧].

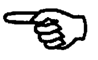
والصاحب لك فى هذه الرحلة. المثابرة وتحمل الكيد والإيذاء؛ فهذا من سنن الله الكونية فى تمحيص الرموز وأصحاب الدعوات.

ألم تر النبى حين قال له ورقة بن نوفل فى بداية أمر الدعوة «... يا ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك» فقال الرسول: «**أومخرجى هم؟**»! قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى».

وتطلع إلى وصية لقمان لابنه وهو يعظه ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمان: ١٧].

طريقك للوصول إلى ما ترغب -الرمزية، التأثير فى الناس- طويل، مملوء بالأشواك والصعاب «تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمى فى النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث فى السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ.





وأنت ماذا ستتحمل ؟

هذا الطريق لا تتحمله إلا نفوس الرجال ولا تقوم به إلا همم الصادقين.

رجال إذا صحت بدايتهم وروعيت أولوياتهم أعقبتها نتائج مشرقة.

فمن كانت بدايته متعبة، كانت نهايته مشرقة.

أما صاحب الإعداد الفوضوى الذى لا يلتزم بسلم الأولويات ولا يقوم على أسس ثابتة منهجية فهو إعداد عاطفى هش، لا يحقق غاية ولا ينتج ثمرًا، وسرعان ما يمل ويفتر صاحبه. ولهذا قيل: الفتور بعد المجاهدة من فساد الابتداء.

واقرأ تلك القصص لرموز فقهوا معنى الرمز فكان منهم: الداعية والمجاهد والسياسى والطالب والوزير.

وسئل الشافعى: «أيما أفضل للرجل أن يُمكّن أو يُبتلى؟ فقال: لا يُمكَّن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا فلما صبروا مكنهم. فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة» والطريق طويل «ومن استطال الطريق، ضعف مشيه».

العامل الرمز:

- جاء العامل السعودى الجنسية فى نهاية يوم شديد الحرارة والرطوبة قاصدًا برادة الماء ليشرب.. جاء مجهدًا ومتعبًا ويتصبب عرقًا بعد عناء يوم طويل من العمل الشاق تحت حرارة الشمس.. ما إن ملأ الكأس بالماء البارد وأراد أن يبرد جوفه حتى جاءه مهندس أمريكى وقال له بغلظة: أنت عامل ولا يحق لك الشرب من الخدمات الخاصة بالمهندسين. رجع المسكين وأخذ يفكر أيامًا وأيامًا ويسأل نفسه: هل أستطيع أن أكون مهندسًا يومًا ما وأكون مثل هؤلاء؟

اتكل على ربه وعقد العزم وبدأ بالدراسة الليلية ثم النهارية وبعد السهر والجهد والتعب والسنين حصل على شهادة الثانوية ثم تم ابتعاثه إلى الولايات المتحدة الأمريكية على حساب الشركة وحصل على بكالوريوس فى الهندسة ورجع لوطنه، ظل يعمل بجد واجتهاد وأصبح رئيس قسم ثم شعبة ثم إدارة إلى أن حقق إنجازًا كبيرًا بعد عدة سنوات وأصبح نائب رئيس الشركة.

- حدث أن جاءه نفس المهندس الأمريكى (وكانوا يمضون عشرات السنين فى الخدمة بالشركة) وقال له: أريد الموافقة على إجازتى وأرجو عدم الربط بما حدث بجانب برادة الماء بالعمل الرسمى، فرد عليه بأخلاق سامية: أحب أن أشكرك من كل قلبى على منعى من الشرب، صحيح أننى حقدت عليك ذلك الوقت، ولكن أنت السبب -بعد الله- فيما أنا عليه الآن.

وبعد العرق والكفاح والإخلاص والوفاء والولاء للعمل ولبلده أصبح رئيس الشركة.. هذه الشركة من كبرى الشركات العملاقة فى صناعة البترول، شركة أرامكو السعودية، وبعد ذلك تم اختياره ليكون وزيرًا للبترول فى المملكة العربية السعودية.. نعم إنها قصة العامل السعودى والوزير السعودى المهندس على النعيمى الذى كان عاملا وأصبح وزيرًا.

كان عاملا صبر واصطبر على المشاق فأصبح رمزًا لكل طالب علم مجتهد، لم يبحث عن الأعذار، لم يعط لنفسه التبريرات، لم يقل هذا ظُلم.. بل بحث عن الحلول، ووضع خطة وبرنامجًا، ونجح...

العالم الرمز:

- رُوى عن مالك بن أنس أنه قال: بعث «أبو جعفر المنصور» إلىّ «ابن طاووس» - أحد أفاضل العلماء فى عصره- فدخلنا عليه وبين يديه أنطاع قد بُسطت «جلود توضع تحت المحكوم عليهم بالقتل» وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ إلينا

أن اجلسا، فجلسنا فأطرق عنا قليلا ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاووس فقال له: حدثنى عن أبيك قال: نعم، سمعت أبى يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فأدخل عليه الجور فى عدله».

قال مالك: فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه، فأمسك ساعة ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظنى يا ابن طاووس، قال: نعم يا أمير المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦- ١٤].

قال مالك: فضممت ثيابى من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابى من دمه!!

فأمسك ساعة، ثم قال: يا ابن طاووس، ناولنى هذه الدواة، فأمسك عنه، فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟

قال ابن طاووس: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها.

فلما سمع ذلك قال أبو جعفر: قوما عنى.

قال ابن طاووس: ذلك ما كنا نبغى منذ اليوم.

قال مالك: فمازلت أعرف لابن طاووس فضله.

انظر للرجل الداعية يُذكر بالله وهو بين يدى جلادين يضربون الأعناق.

الصحابى الرمز:

روى ابن سعد فى طبقاته: «كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابًا وجمالا، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمى من النعال، فكان رسول الله يدعو إلى الإسلام

في دار الأرقم بن أبي الأرقم فدخل عليه وأسلم وصدق به وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه ولما كشفوا أمره أخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا . . .».

يقول خباب بن الأرت : (هاجرنا مع رسول الله نبتغي وجه الله فوجب أمرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا منهم : مصعب بن عمير ، قُتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا بردة قال : فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ، فقال لنا رسول الله : اجعلوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر) . ولقد وقف رسول الله على هذا الفتى وهو مقتول مسجى في بردة فقال له والدموع تزدحم في عينيه : لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمسة منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة وقرأ عليه هذه الآيات : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

رمز في التضحية والتحول الدراماتيكي من الدعة إلى التكليف بالأمر..

من الرقة والحسن من الثياب إلى تحمل المشاق والصعوبات

ولم يأكل من أجره شيئا.

الداعية الرمز:

قال د. علي بادحدح في كتابه «مقومات الداعية الناجح» القصة التالية :

اتخذ مصطفى كمال أتاتورك ثلاثة قرارات هي :

- إلغاء الخلافة .

- إلغاء وزارة الأوقاف والأمور الشرعية .

- توحيد التعليم.

وقرر اتخاذ المنهج العلماني في فصل الدين عن الدولة ونادى بأن تركيا جزء من العالم الغربي ومضى يغير كل شيء له صلة بالإسلام عن تركيا حتى أصدر في عام ١٩٢٥ قانون الملابس الذي ينص على إبدال القبعة بالطربوش ويقرر عقوبة على من يلبس الطربوش الذي كان اللبس الشائع بين المسلمين ويلزم بلبس القبعة تأسيًا بالغربيين وتشبهًا بهم وتعظيمًا لهم. هنا برز رمز من رموز العلماء العاملين المصلحين، كان من بينهم «عاطف الإسكيليبي» الذي تصدى لهذه الهجمة التغريبية حتى ذكر في بعض كتبه «أن بيعة المسلمين للخليفة أمر واجب وهو ثابت بالعقل والشرع»، ثم دلل على ذلك وقرر «وجوب تعيين الخليفة أمر ثابت بإجماع الأمة بطريق الأدلة الشرعية» ثم كتب رسالة عن المرأة المسلمة وحجابها بعنوان «التستر الشرعي» وذلك في مواجهة العلمانية الغربية، ثم ألف رسالته الشهيرة «تقليد الفرنجة والقبعة» نعى فيها على المقلدين للغرب تقليدًا أعمى والمتشبهين بالكفار وحكمهم وذكر القبعة مثالا على ذلك، وكان لهذه المواقف والرسائل أثرها الكبير في نفوس المسلمين ومواقفهم وصداها الواسع في منتدياتهم ومجالسهم مما حدا بأتاتورك وزمرته أن يقبضوا على الشيخ عاطف وقُدم للمحاكمة بخصوص رسالة القبعة في ٢٦ يناير ١٩٢٦، وصدر بحقه حكم الإعدام ونُفذ فيه.

المجاهد والسياسي الرمز:

يقول الشاعر:

الناس صنفان: موتى في حياتهم   وآخرون ببطن الأرض أحياء

هذا هو ما يمكن قوله على هذا الرمز.

جسد ذابل، مقعد، مشلول، لا يحرك إلا رأسه، وضع أنوف اليهود في إسرائيل في التراب، هز العروش والجيوش وأشعرها جميعًا بالخجل.

إن الشيخ الشهيد الذى أيقظ أمة، الشيخ أحمد ياسين يقول: أنا أحب الحياة جدًا وأحب كل ما خلق الله على الأرض، أحب الحياة لى ولغيرى من الناس ولا أكره الحياة ولا أحسد أحدًا على ما أعطاه الله وأقبل ما قسم الله لى، ولكننى أرفض الذل وأرفض الخضوع والعدوان، أريد الخير لشعبى ولأمتى ولكل العالم، أنا متفائل جدًا. . . أنا إنسان عشت حياتى أملى واحد، أملى أن يرضى الله عنى ورضاه لا يُكتسب إلا بطاعته وطاعة الله فى الجهاد، فإن تحققت أمنيتى فهذا فضله، وإن مت قبل أن تتحقق أكون قد بدأت الطريق وخطوت خطوات».

ويقول: «إنه ما من خلاص إلا بالعودة إلى الله ومنهج السماء ودعوة محمد بن عبد الله. إن هذه الأمة كانت يومًا ذات عز بالإسلام وبدون الإسلام فلا غلبة ولا نصر، وسوف نظل نراوح الأقدام مع ما نحن فيه من تخلف حتى يتسلم الراية والقيادة نفر من هذه الأمة ملتزم بالإسلام منهجًا وسلوكًا، حركة وتنظيمًا، ثقافة وجهادًا، هذا هو الطريق ولا طريق غيره، فالله أو الدمار».

- جاهد واجتهد كثيرًا حتى يعيد تدفق الماء فى العروق، كانت العجلة تتحرك ببطء شديد لوعورة الطريق وتكاثر الشوك، لكن الشيخ كان يراهن على جيل جديد يفهم الدعوة ويقاتل من أجلها حتى يتحقق له النصر والتمكين، بدأ بتعمير المساجد والعمل الاجتماعى والمؤسسات الدعوية والتربوية حتى أصبح معروفًا فى مجتمعه وأصبح قدوة فيه يفصل فى قضايا الزواج والميراث والطلاق والأرض والجيران وفى كل ما يتنازع الناس فيه حتى صار بيته ساحة قضاء، فكان يقترح الحلول ورأيه لا يُرد وحكمه بينهم قضاء، وأصبح يُحسب له ألف حساب حتى سُئل يومًا: كيف يقضى وقته؟ فأجاب:

«طوال عمرى فى العمل حتى حينما أكون فى بيتى فأنا فى العمل ليس لدىّ ساعة فراغ واحدة، يأتينى المسلم يشكو من شىء فأسعى لحل شكواه، يأتينى الفقير يشكو

ويأتينى أبو السجين أو أهله يشتكون، تأتينى المطلقة تشكو شكواها فبيتى مفتوح لكل الناس وعلى كل مستوياتهم للأرملة والفقير والتعبان والمريض والذى يريد العلاج والذى لديه مشكلة والذى يريد أن يزور منطقة والذى يبحث عن عمل . . . العمل يأخذ كل وقتى» .

إنه رمز يحمل هموم مجتمعه وأمته وأعباؤها على كاهله .

- تم سجنه ثلاث مرات: عام ١٩٦٥ ، عام ١٩٨٤ ، عام ١٩٨٩ تعرض خلالها للتعذيب والمعاناة وهو الجسد الضعيف ولكن هانت له الدنيا .

- أسس حركة حماس وكانت شرارتها الأولى عام ١٩٨٧ والانتفاضة الأولى ولم تزل متنفضة. قال يومًا وهو منفعل بكلمات كالرصاص: «والآن وقد بدأت الصحوة الإسلامية فى الشرق وفى الغرب وفى كل مكان فلابد لكل مسلم أن يسأل نفسه. ما دورى فى هذه الصحوة؟ وما دورى فى معركة الإسلام؟ أين أقف الآن؟ وما موقفى؟

إنه ليس من الحكمة أن نقف -فقط- ونلعن الظلام، بل لابد أن نضىء الشموع لنطرد الظلام ونبدد الحلكة. إن دعوة الله أمانة وهى بين أيدينا، فعلينا أن نبلغها للناس بالسلوك الحميد والكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة. علينا أن نبلغها بالدفاع عنها بالفكر والجهاد والقلم واليد واللسان حتى تصل إلى الناس جميعًا وحتى نؤدى واجب هذه الدعوة .

ويقول :

- أنا كرست حياتى للعمل وليس للكتابة، وحياتى كلها تطبيق لما أقرأ وما أتعلم، أنقل ما تعلمت إلى واقع الحياة فإن تعلمت آية أوحديثًا قمت وعلمته للناس .

- النصر قادم والتحرير قادم، المهم أن نجعل مع دعائنا شيئًا من العمل لدعم شعب فلسطين ومعركة شعب فلسطين لنصل إلى يوم النصر والتحرير .

- السر يكمن فى الإرادة وإيمان الإنسان بالمبدأ الذى يسير عليه؛ فالدنيوى لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كل شيء، لكن الإنسان المؤمن الذى يؤمن بأنه ذاهب إلى جنة عرضها السماوات والأرض يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار عند رب العالمين فهو ينتظر هذا اليوم ويستبسل ويقاتل من أجل الفوز فى هذا اليوم ويثبت فى الميدان حتى آخر رمق فى حياته.

- أؤكد لكم أن الشعوب أقوى من الأنظمة، فالشعوب تتحرك فى هذه الأيام على عكس ما ترى تلك الأنظمة وما يخطط له العدو، فسينتصر الإسلام وسيُهزم المشروع الأمريكى الصهيونى على فلسطين بإذن الله، خاصة أن مبشرات النصر قائمة يرسمها شعبنا كل يوم بثباته وتضحياته ومقاومته التى فرضت موازين الردع والرعب مع هذا العدو الذى ظن أنه لا يقهر ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

رحم الله الشيخ القعيد

إنها إرادة رمز حققت له ما أراد فناله.

أضاء الشموع ولم يلعن الظلام

وصل للناس من خلال المؤسسات المتواضعة فزادها الله رونقًا ودعمًا ومات شهيدًا.

وحتى بشهادته بعث أمة من جديد

فرب همة أحيت أمة بإذن الله

الطالب الرمز

روى الأستاذ محمود عبد الحليم فى كتابه «أحداث صنعت التاريخ» ما يلى:

«حدث فى ٤ من فبراير ١٩٤٢ إبان الاحتلال الإنجليزى لمصر أن طلب الإنجليز من الملك فاروق ملك مصر أن يدعو حزب الوفد لتولى الوزارة وهددوه باقتحام

قصره بالدبابات الإنجليزية إذا لم يلب طلبهم، وقد فعل. وكان الإنجليز يهدفون من وراء ذلك إلى تحطيم حزب الوفد -الممثل للأغلبية- لعلمهم بأن الذى يتولى الحكم فى ظروف الحرب التى تلازمها دائمًا قسوة الحياة وصعوبة وسائل التموين مع تعرض البلاد للغارات. . . كل ذلك سيغرس الكراهية فى نفوس الشعب للجالس على قمة الحكم وقد ستروا هذا الهدف بما راج أيامها على ألسنة الناس من أن الدافع هو أنهم فى ظروف حرب ويجب أن يكون فى الحكم حزب الأغلبية حتى يضمنوا فى البلاد هدوءًا يساعدهم على التفرغ لشئون الحرب. وقد تحقق للإنجليز فعلاً ما أرادوا.

وخرج الوفد من هذه الجولة فى الحكم خاسرًا.

وجاءت على أعقابه حكومة سعدية برئاسة أحمد ماهر، ورأى القصر بعد نحو من سنتين من هذه الحادثة أن يذكر الناس بها تأليبًا للشعب على الوفد. فأوحى إلى مواليه السعديين أن يدبروا خطة لذلك، ورأى السعديون أنهم لكى يحققوا ذلك لابد لهم من أن يتعاونوا مع الأحزاب الأخرى والهيئات المختلفة، فاتصلوا فى سرية تامة بالأحرار الدستوريين والحزب الوطنى والحزب الاشتراكى ومجموعة من الأحزاب والهيئات والحركات كانت موجودة فى ذلك الوقت.

واستجاب الجميع إلى اجتماع سرى لهذا الغرض ماعدا الحركة الإسلامية التى رفضت فى أول الأمر بدعوى أن فى مجموعة الأحزاب والهيئات التى استجابت الكفاية ولا يضرهم تخلف هيئة واحدة. لكن السعديين ألحوا إلحاحًا شديدًا، فاستجابت الحركة أخيرًا مكتفية بإيفاد عضو صغير كان لايزال -إذ ذاك- طالبًا بكلية الحقوق، وكان هذا العضو هو الطالب: سعيد رمضان.

وانعقد الاجتماع فعلا فى ظل الكتمان برياسة الدكتور السنهورى -أحد الزعماء البارزين فى حزب السعديين- وأخذ الدكتور السنهورى يشرح المقصود من الاجتماع

وهو أن تقوم الهيئات الحاضرة متضامنة بحركة عنيفة كمظاهرة تذكر الناس بحادثة٤ من فبراير ١٩٤٢ وبأن الوفد جاء إلى الحكم على أسنة الرماح الإنجليزية، ولا مانع من القيام ببعض التفجيرات لإيقاف حركة المواصلات إثارة لانتباه الجماهير. ثم طلب السنهورى من ممثلى الأحزاب والهيئات الحاضرين أن يدلى كل برأيه ففعلوا وكان إجماعًا بالموافقة على اقتراح السنهورى فتهلل وجهه فرحًا. كان الطالب سعيد رمضان- ممثل الحركة الإسلامية- آخر المتكلمين وكان فعلا أصغر الموجودين سنًا ومركزًا اجتماعيًا فلما جاء دوره قال: إننى لا أوافق على هذه الخطة ولن تشترك الجماعة الإسلامية فى شىء منها. فكانت كلماته بمثابة ديناميت نسف الاجتماع كله؛ لأنه كان بمثابة مركز الثقل فى هذا الاجتماع. والتفت إليه السنهورى باشا مغضبًا وسأله عن سبب رفضه فقال الطالب سعيد رمضان: أرجو - بعد أن تحدثت فى الاجتماع بكل ما فى نفسك- أن تعرفنى بالموجودين فيه فردا، فردا، كلا باسمه، فالتفت السنهورى إلى الموجودين فوجد نفسه عاجزًا عن معرفة أكثرهم، فقال سعيد: إن اجتماعًا على هذه الغاية من السرية وللاتفاق على أعمال خطيرة لا يعرف رئيس الاجتماع أسماء الحاضرين ولا شخصياتهم لهو اجتماع فاشل لم يكن يستحق أن نحضره، وما حضرنا إلا بعد إلحاحكم ولنثبت لكم يا سعادة الباشا -مع احترامى لشخصك- أنكم تتصرفون تصرف الأطفال.

وما كاد يخرج المجتمعون وما كادوا يصلون إلى مقر هيئاتهم وإلى بيوتهم إلا وأطبق البوليس السرى عليهم واقتادوهم فرادى إلى وزارة الداخلية وواجهوا كلا منهم بما قاله فى الاجتماع بالحرف الواحد مما دل -كما أشار سعيد - على أنه كان بين الحاضرين أشخاص مدسوسون من عملاء البوليس السرى.

إنه طالب رمز تربى فى أحضان مسلمة ملتزمة بالإسلام بشموله وعمومه استطاع تقييم اجتماع خطير كهذا تقييمًا أكد الواقع صحته وصوابه، بينما أخطأ أساتذة كبار يعيشون لحالهم خطأ أوقفهم ومن معهم مواقف حرجة لا يرضى بها ولا عنها حر كريم.

إنه الطالب الذى ساهم فيما بعد فى تأسيس رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة، كما كان الأمين العام للمؤتمر الإسلامى للقدس، وأسس المركز الإسلامى فى جنيف، وشارك فى العالم الإسلامى على الساحة الإسلامية الواسعة.

المجاهد الرمز:

فارس الليل والنهار، عابد فى الجهاد، صاحب عطاء ربانى.

مخلص وماهر وناجح فى القيادة والجندية.

كان لا ينام ولا يترك أحدًا ينام.

سيف الله ورسوله . . . خالد بن الوليد.

كان عمر خالد بن الوليد عند بعثة النبى ٢٤ سنة، وحين الهجرة ٣٧ سنة، وفى أحد ٣٩ سنة، ولم يسلم خالد إلا وعمره ٤٣ سنة، ومات وعمره ٥٦ سنة.

أى أن كل ما فعله من مجد ورمز فى الجهاد كان فى ١٣ سنة فقط.

هو فارس منذ صغره، جهزه أبوه ليكون فارسًا مغوارًا فجعله يهتم بالمصارعة مع فتيان قريش، ثم وجهه إلى ترويض الخيول حتى إنه لما بلغ ١٨ سنة لم يكن يستعصى عليه فرس حتى صار أعظم من يروِّض الخيول فى الجزيرة العربية، وبعد ترويض الخيول بدأ أبوه يأمره بركوب الجمال لمسافات طويلة، ثم بدأ يتدرب على كل فنون السلاح حتى أنه كان أفضل من يجيد الرمى بالرمح وهو ينطلق بالفرس بأعلى سرعة ممكنة، وبهذه الطريقة قتل ثلاثة من المسلمين فى غزوة أحد قبل إسلامه.

إذن هو رمز للفروسية والجهاد وتاريخه يغنى عن سرده

وهو رمز للطاعة

- عندما وصل خالد إلى جيوش المسلمين فى الشام وقابل أبا عبيدة قال له: يا أبا عبيدة، والله لولا أن أبا بكر أمّرنى عليك ما ائتمرت عليك أبدًا، فقال أبو عبيدة:

– والله يا خالد أنت أعلم بالحرب منى .

ثم قبل المعركة بقليل يموت أبو بكر ويتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد بن الوليد فى كتاب بعثه إليه فيذهب خالد إلى أبى عبيدة ويخبره بأن عمر عزله ويقول له : مرنى بما شئت ، وكان خالد يعمل وهو جندى أكثر منه وهو قائد ، وحينما سأله الناس عن ذلك قال : إنما أفتح الشام لله لا لعمر بن الخطاب .

– حوار بين الصحابة فى تنفيذ أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى خالد بن الوليد . الموقف فى مسجد مدينة حمص وفيه المنبر والصفوف الأمامية وفيه : أبى عبيدة بن الجراح وبلال بن رباح ومعاذ بن جبل .

أبو عبيدة : اذهب الآن يا معاذ إلى خالد بن الوليد وأحضره معك .

معاذ : سمعًا يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : تلطف به جهدك يا ابن جبل .

معاذ : سأفعل (يخرج منطلقًا ليحضر خالد بن الوليد) .

أبو عبيدة : مالى أراك واجفًا يا بلال؟ ما خطبك؟

بلال : وكيف لى لا أجف يا أبا عبيدة وقد رأيتك أنت تجف؟

أبو عبيدة : اللهم ثبت قلوبنا على الحق واعصمنا من الزلل .

بلال : أتذكر يا أبا عبيدة إذ كان أمية بن خلف يطرحنى على ظهرى فى بطحاء مكة إذا حميت الظهيرة ويضع الصخرة العظيمة على صدرى ويقول لى : لأتركنك هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد .

أبو عبيدة : نعم أذكر هذه الحادثة .

بلال : والله إن هذا الذى أنا مقدم عليه اليوم لأشق علىّ من ذاك . . . كيف أعمد أنا بلال بن حمامة(نسبه إلى أم بلال التى كانت تدعى حمامة) إلى خالد بن الوليد بطل الإسلام وفارس المسلمين وسيف الله المسلول فأنزع عمامته على رءوس الأشهاد؟



أبو عبيدة: هذا أمر أمير المؤمنين.

بلال: أفلا تقوم به أنت يا أبا عبيدة وتكفينيه جزاك الله صالحه؟

أبو عبيدة: ويحك يا بلال... أوقد نسيت أن النبى آخى بينى وبينك.

بلال: كلا ما نسيت ذلك، ولكن خالداً سيكون أهون عليه أن تقوم بذلك من أن أقوم أنا به.

أبو عبيدة: لا حق له إن فعل... أنت سيدنا وعتيق سيدنا ومؤذن رسولنا ﷺ.

بلال: سيظن ابن الوليد ما لا نحب أن يظنه.

أبو عبيدة: فليظن ابن الوليد ما يشاء، فلو قصد أمير المؤمنين هذا المعنى إذ اختارك لهذه المهمة فكيف ويحك تريد أن تسندها إلىّ؟ إذن والله ليغضبن أمير المؤمنين عليك.

بلال: صدقت لقد أمرنى هو أن أتولى ذلك بنفسى، قال لى: يا بلال انزع عمامته وقيّد بها يديه من خلفه على ملأ من الناس وبحضور أبى عبيدة.

سأرتقى أنا المنبر وأبقى فيه وأنت تتولى سؤال خالد، اللهم يسّر وأعن (ثم يدخل الناس أفواجًا فى المسجد ثم يدحل معاذ بن جبل ومعه خالد بن الوليد فى نفر من أصحابه فيهم رومانوس «قائد رومانى أسلم وحسن إسلامه وشارك المسلمين فى كثير من حروبهم وتزوج خولة بنت الأزور» ورافع بن عميرة ومذعور بن عدى حتى جلسوا فى الصف الأول أمام أبى عبيدة، وما هى إلا لحظات حتى وقف رجل بين الجالسين وصرخ بأعلى صوته موجهًا الكلام إلى أبى عبيدة قائلا:

الرجل: يا أبا عبيدة... هل تأذن لمسلم أقمت عليه حد الخمر أمس؟

أبو عبيدة: يغفر الله لك يا أبا جندل... ما عندك؟

أبو جندل: ماذا فعل الله بصاحبنا ضرار بن الأزور؟

أبو عبيدة: إنه لم يحضر إلينا من قيسارية.

أبو جندل: أفى الحق يا صاحب رسول الله أن تحضرنى أنا وأصحابى بالشرطة أول أمس وتنتظر ضرار بن الأزور حتى يجيئك من تلقاء نفسه متى يشاء؟

أبو عبيدة: لقد بعثنا إلى عمرو بن العاص ليرسله إلينا فى الحال.

أبو جندل: قيل لنا إنك أردت أن تؤثره علينا فتركته فى قيسارية وأقمت علينا الحد من دونه.

أبو عبيدة: معاذ الله... وماذا يحملنى على ذلك؟

أبو جندل: قيل لنا إنك راعيت مكانه من خالد بن الوليد فقبلت شفاعته فيه.

أبو عبيدة: ومن قال لك ذلك؟

أبو جندل: كلا لا أخبرك به.

أبو عبيدة: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] والله ما كلمنى خالد فى أمر ضرار بن الأزور، ولو فعله ما شفعته فيه؛ فإنه لا شفاعة فى الحدود.

أبو جندل: كان ينبغى عليك إذنْ يا أبا عبيدة أن تكون قد أرسلت فى طلبه فأحضروه إليك قبل أن تحضرنا وتسائلنا أمام الناس وتقيم علينا الحد؛ فعسى أن يبلغه ما كان فيهرب من الحد فلا تستطيع أن تقيمه عليه.

أبو عبيدة: وأنى له المهرب يا أبا جندل؟

أبو جندل: لقد سمعناه يقول: والله لا أرضى أبدًا أن أجلد كما يُجلد العبد.

أبو عبيدة: وما شأننا بما يقول؟ والله لنقيمنه كما أقمناكم، ولنسألنه عن الخمر كما سألناكم: فإن قال إنها حلال قتلناه، وإن قال إنها حرام جلدنُاه كما يُجلد العبد ولا كرامة.

خالد (ينهض): يا أبا عبيدة ما كان الله ليخزى ضرار بن الأزور.

أبو جندل. أرأيت يا أبا عبيدة؟ أرأيتم أيها المسلمون؟

أبو عبيدة: ما خطبكُ يا أبا سليمان؟ إنها حدود الله يطهر بها قومًا ويخزى بها آخرين.

أبا جندل: لقد صح إذن ما قيل.

خالد: يا أبا جندل... ويا أبا عبيدة... ويا أيها المسلمون جميعًا: ترحموا على أخيكم ضرار بن الأزور.

الجميع: أوقد مات ضرار؟

خالد: استشُهد على أسوار قيسارية فأعظم الله أجركم فيه. لقد كان والله مجاهدًا مغوارًا لم ينب له سيف (أى يُكسر)، ولم تنثن له قناة، ولم يطش له سهم.

ما كان الله ليخزى ضرار بن الأزور أبدًا (تغلبه العبرة فيقف واجمًا مندهشًا).

رومانوس (ينهض إلى أبو عبيدة ويناوله كتابًا) ويقول له: هذا كتاب عمرو بن العاص يا أبا عبيدة (ثم يعود إلى مكانه).

خالد (يرفع يديه إلى السماء ويدعو): اللهم إن ضرارًا كان يخرج فى الليلة الباردة القريرة عريان إلا مما يستر عورته فيجاهد فى سبيلك فيقتحم الجيشَ اللهام (العظيم) للعدو ولا يهاب الرماح ولا السهام ولا السيوف، اللهم فاغفر له ما أذنب فى حقك وما أذنب فى كبير. اللهم إن كان يسخطك عليه أنه شرب فى الشام بعض الخمر فاغفر له اللهم وارزأه (رزأ: نال منه خيرًا كثيرًا) من نصيبه من خمر الجنة فإنك قلت فى كتابك: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

يجلس فيضج الناس بالبكاء.

أبو عبيدة (يرى بعض الناس يقومون لينصرفوا فيقول لهم): انتظروا أيها الناس لا تقوموا حتى تسمعوا ما أمر به أمير المؤمنين فى خالد بن الوليد... قم يا بلال (ينظر الناس بعضهم إلى بعض فى دهش فيتقدم بلال نحو خالد ويقول له): بلال: يا

خالد بن الوليد. . . إن أمير المؤمنين أمرنى أن أسألك أمام الناس أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف أم من إصابة أصبتها؟

يدهش خالد فينظر إلى أبى عبيدة وينظر إليه أبو عبيدة فى حنان.

بلال: أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها.

خالد لا يجيب.

بلال: إن أمير المؤمنين أمر أن تُعقل بعمامتك وأن تُنزع قلنسوتك حتى تجيب عما تُسأل الآن.

(يحل عمامة خالد ويعقل بها يديه من وراء ظهره ثم تنزع قلنسوته)

ما تقول يا خالد؟ من مالك أم من إصابة أصبتها؟

تصدر عن جموع المسلمين همهمة فيقف أبو جندل وسط المسجد ويقول:

أبو جندل: كلا يا قوم، لقد بلغ السيل الزبى (أى اشتد وتفاقم وجاوز حده) ما هكذا يُعامَل الأبطال.

خالد: اسكت يا أبا جندل. . لا تكن داعى خلاف وفتنة.

أبو جندل: يا سيف الله، إنما أردت أن أذب عنك.

خالد: لا أريد أن يذب عنى أحد.

أبو جندل (بصوت متهدج): بأبى أنت وأمى يا أبا سليمان، سامحنى فيما بدر منى فى حقك سامحنى، يا أبا سليمان.

خالد: سامحتك يا ابن سهيل بن عمرو.

بلال: أجبنى يا خالد. . . من مالك أجزت الأشعث بن قيس أم من إصابة أصبتها.

خالد: بل من مالى.



أبو عبيدة (يتنفس الصعداء): الحمد لله.

بلال (يطلقه ويعيد قلنسوته ويعممه بيده): نسمع ونطيع لولاتنا (يقبّل رأس خالد) ونفخم ونخدم موالينا.

خالد: (كالمنكر لتقبيل رأسه وكالمستغرب) من يا ابن حمامة... يا ليت لى مثل فضلك وسابقتك إذن...

بلال: إذن ماذا يا سيف الله؟

خالد: هيهات يا ابن حمامة... حال الجريض دون القريض (أى غصة الموت منعت من نظم الشعر لأمر يعوق دون عائق).

معاذ: صدقت يا أبا سليمان وقول الله جل جلاله هو الأصدق: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

أبو عبيدة: أيها الناس... انصرفوا يرحمكم الله؛ فقد قضينا ما أمر به أمير المؤمنين.

أليس خالد هنا رمزًا فى موقف آخر غير ما عُرف به ، اشتُهر عنه؟

بطل لم يغضب لذاته وامتثل للأوامر.

لم يتجاوب مع من دافع عنه؛ لأنه يعلم أن الله يراه وأن الفتنة فرقة وضعف، وهو لا يريدها.

رمز مجاهد.

رمز فى طاعته للأوامر.

رمز فى الدفاع عن الحق والدعاء لإخوانه والشهادة لهم بالخير.

رمز فى معرفة فضل من سبقوه إلى الله عز وجل.

رمز فى كل شىء.



المهندس المجاهد الرمز:

- لم يكن إنسانًا عاديًا ولا شخصًا محدود القدرات والمواهب، بل كان رجلا فذًا ومجاهدًا متمرسًا وقائدًا صلبًا ومؤمنًا ورعًا تفيض نفسه بالإيمان وتعمر روحه بالصفاء والنور والتقوى، تفوق فى الدراسة وحصل فى الثانوية العامة على ٩٢,٨٪ علمى ليلتحق بجامعة بيرزيت قسم الإلكترونيات ولم يمنعه انشغاله بمسألة التحصيل العلمى من التفكير فى قضايا شعبه والتخلص من الاحتلال الجاثم على أرض بلاده.

- اتجه لتسخير مقدراته العلمية وتفوقه فى مجال الهندسة الكهربائية لمحاربة اليهود فبرع المهندس يحيى عياش فى صنع المتفجرات والعبوات الناسفة، واستطاع ابتكار طرق مختلفة للتفخيخ والتفجير، وأجاد التحرك والاختفاء.

- بعد تخرجه حاول الحصول على تصريح خروج للسفر إلى الأردن لإتمام دراسته العليا ورفضت سلطات الاحتلال طلبه وعلق على ذلك «يعكوف بيرس» رئيس المخابرات قائلا: «لو كنا نعلم أن المهندس سيفعل ما فعل لأعطيناه تصريحًا بالإضافة إلى مليون دولار».

- لم يستطع «شمعون رومح» -أحد كبار العسكريين الإسرائيليين- أن يخفى إعجابه بيجيى عياش حين قال: «إنه لمن دواعى الأسف أن أجد نفسى مضطرًا للاعتراف بإعجابى وتقديرى بهذا الرجل الذى يبرهن على قدرات وخبرات فائقة فى تنفيذ المهام الموكولة إليه وعلى روح مبادرة عالية وقدرة على البقاء وتجديد النشاط دون انقطاع».

ولُقب الرمز بـ«الثعلب، الرجل ذو الألف وجه، العبقرى».

- تحول المهندس الرمز بعملياته الاستشهادية إلى كابوس يهدد أمن دولة الكيان الغاضب وأفراد جيشه الذى يدعى أنه لا يُقهر بل وقادته أيضًا؛ حيث بلغ الهوس الإسرائيلى ذروته حين قال رئيس الوزراء «إسحق رابين»: أخشى أن يكون عياش



جالسًا بيننا فى الكنيست» وقال أيضا : «لا أشك أن المهندس يمتلك قدرات خارقة لا يملكها غيره ، وأن استمرار وجوده طليقًا يمثل خطرًا على أمن إسرائيل واستقرارها» .

- هذا الرمز ، نذر نفسه وهو فى ريعان الشباب ومقتبل العمر إلى قضية عاش بها فى السن التى يلهو فيها اللاهون ويعبث فيها العابثون .

استغل موهبته وخبراته ليجدد الأمل ويقتل اليأس ويعيد الحياة إلى روح الجهاد والمقاومة فى فلسطين ، عرف موطن ضعف عدوه ومكمن قوة شعبه فأعاد التوازن المفقود بين شعب أعزل وعدو مدجج بالأسلحة .

- لم يكن يحيى نجوميًا يبحث عن الشهرة والشعبية بقدر ما كانت الجماهير تائقة إلى بطل تلتف حوله يعيد للأيام بهجتها وللحياة طعمها وللإسلام انتصاراته وشموخه .

فى حياته القصيرة التى عاشها -فهو استُشهد على مشارف الثلاثين- لم يكن عمره العسكرى كبيرًا فيها ، ولكن ما يميزه هو أن إنجازه العسكرى هو الكبير المهم .

- يحيى عياش نقل المقاومة من مرحلة إلى مرحلة وحقق قفزة استراتيجية فى الأداء العسكرى .

- يقول أحد الذين خبأوه يوما : «كان يمتاز بالهدوء والخجل ، وكان شديد الذكاء والإخلاص ، عالى الهمة ، يمتاز بصبر وقوة احتمال يعجز عنهما الملايين . . . أذكر أنه فى يوم من الأيام اضطررت أن أخبئه فى مكان لا يستطيع الإنسان أن يمكث فيه لدقائق . كان المكان حظيرة للحيوانات ، ومما زاد من صعوبة الأمر أنه كان من الصعب أن أتمكن من الوصول إليه ولم يكن لديه ماء أو طعام والبرد قارس جدًا بالإضافة إلى أن قوات الاحتلال كانت تسيطر على المنطقة بالكامل . . . لكن الله أعمى أبصارهم عنه وكانت المفاجأة عندما فتحت عليه باب الحظيرة بعد سبعة أيام لأجده فى مكانه ومعنوياته عالية جدا .

- ويقول أبو رشيد الذى قضى عامين ونصف العام خلف قضبان السجون لعلاقته بالمهندس عياش : «كان مهندسنا رجلا روحانيًا متواضعًا لأبعد الحدود يخاف الكبر والرياء فبعد أن خرج رئيس الوزراء الصهيونى «إسحاق رابين» يتحدث عنه بعد عملية ديزنكوف التى قتل بها ٣٥ صهيونيًا دمعت عيناه وبدأ يستغفر الله ويدعوه أن يتقبل عمله .

- كان يمشى مسافات طويلة بين القرى تصل فى بعض الأحيان إلى ٢٥ و٣٠ كيلو مترًا .

من أقواله:

- بإمكان اليهود اقتلاع جسدى من فلسطين ، غير أنى أريد أن أزرع فى الشعب شيئا لا يستطيعون اقتلاعه .

- على الكريم أن يختار الميته التى يحب أن يلقى الله بها ؛ فنهاية الإنسان لابد أن تأتى مادام قدر الله قد نفذ .

- مستحيل أن أغادر فلسطين ؛ فقد نذرت نفسى لله ثم لهذا الدين : إما نصراً وإما شهادة . إن الحرب ضد الكيان الصهيونى يجب أن تستمر إلى أن يخرج اليهود من كل أرض فلسطين .

- لا تنزعجوا فلست وحدى مهندس التفجيرات ؛ فهناك عدد كبير قد أصبح كذلك وسيقضُّون مضاجع اليهود وأعوانهم بإذن الله .

- بالنسبة للمبلغ الذى أرسلتموه فهل هو أجر لما أقوم به؟ إن أجرى إلا على الله وأسأله أن يتقبله منا ، وأهلى ليسوا بحاجة ، وأسأل الله وحده أن يكفيهم وألا يجعلهم يحتاجون أحدا من خلقه ، ولتعلموا أن هدفى ليس ماديًا ، ولو كان كذلك لما اخترت هذا الطريق ، فلا تهتموا بى كثيرا واهتموا بأسر الشهداء والمعتقلين ؛ فهم أولى منى ومن أهلى . . .

- لسه الحبل على الجرار، والله إن شاء ما أخليهم يناموا الليل ولا يعرفوا الأرض من السماء.

وعندما سُئل والده من قبل المحققين: لماذا تضحك في جنازة يحيي ويبكي غيرك؟

فقال: لأني واثق إلى أين ذهب، ذهب إلى الجنة عند مليك مقتدر.

وأنت: أين حبلك؟

على الجرار أم على الشهوات؟

عايش أم حي؟

عايش حياة بائسة تنعى بها حظك؟

أم حي ينبض قلبك بما يحتاجه من حولك؟

حي أم يحيى عياش؟



المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: تفاسير القرآن الكريم:

- إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى؛ تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار إحياء الكتب الجامعية بدون تاريخ.
- سيد قطب: فى ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة ٢٥، ١٩٩٦.

ثالثًا: كتب التراث:

- الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٨٧.
- صحيح مسلم.
- صحيح البخارى.
- محمد يوسف الكاندهلوى: حياة الصحابة، تحقيق: نايف عباس، محمد على دولة، النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

رابعًا: كتب معاصرة:

- أحمد أحمد جاد: الصبر والثبات على الطريق، دار المدائن للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.
- د. السيد محمد نوح: توجيهات نبوية على الطريق، الجزء الثانى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

- د. أحمد عبد الله رزة: قضية الأجيال -تحدى الشباب المصرى عبر قرنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة القراءة للجميع، ٢٠٠٥.

- د. أحمد العسال: مفاهيم أساسية فى فقه الدعوة والتجديد، تحقيق: د. قطب عبد الحميد قطب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

- د. توفيق يوسف الواعى: القدرات الذهنية والذاتية للمربى والداعية، دار البحوث العلمية، الكويت(بدون تاريخ).

- جمعه أمين: منهج الإمام البنا -الثوابت والمتغيرات، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩.

- د. جمال الدين الخازندار: ذكاء المشاعر -مدخل للتميز فى القيادة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠٠٥.

- دانييل جولمان: الذكاء العاطفى، ترجمة: ليلى الجبالى، مراجعة: محمد يونس، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٦٢، الكويت، ٢٠٠٠.

- دانا جاينس روبنسون، جيمس روبنسون: التغيير، أدوات تحويل الأفكار إلى نتائج، الإشراف العلمى: د. عبد الرحمن توفيق، سلسلة إصدارات بميك، القاهرة، ٢٠٠٠.

-د. رءوف شلبى: الدعوة الإسلامية: التجربة، الأخطاء، الحل، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٩٨٨.

- د. سعيد قابل: القدوة منهاج ونماذج، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.



- عثمان عبد المعز رسلان: التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمون، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة (بدون تاريخ).

- عمرو خالد: الأمل والحلم، سلسلة «حتى يغيروا ما بأنفسهم»، دار أريج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

- ــــــــــ: سيف الله المسلول خالد بن الوليد، دار أريج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.

- د. على محمد الصلابى: السيرة النبوية- عرض وقائع وتحليل أحداث، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.

- ــــــــــ: أبو بكر الصديق -شخصيته وعصره، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.

- ــــــــــ: عمر بن الخطاب -شخصيته وعصره، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.

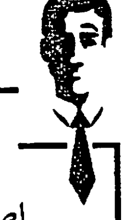
- ــــــــــ: الدولة العثمانية -عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.

- عبد الله قاسم الوشلى: المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق العلمية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٩.

- د. على عمر بادحدح: مقومات الداعية الناجح، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٧هـ.

- عبد الله ناصح علوان: صفات الداعية النفسية، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٠.

- عامر شماخ: أحمد ياسين -شهيد أيقظ أمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٤.



- د. عبد الرحمن توفيق: الشخصية القيادية فكرًا وفعلاً، سلسلة إصدارات بميك، القاهرة، ٢٠٠٤.

- د. فريد النجار: التغيير والقيادة والتنمية التنظيمية -محاور الإصلاح الإستراتيجى فى القرن ٢١، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

- كولين كارنال: صندوق أدوات إدارة التغيير، تعريب: د. سرور إبراهيم، مراجعة: د. عبد المرضى عزام، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٤.

- محمد أحمد الراشد: معًا نتطور، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٣.

- ــــــــــــــ: نحو المعالى، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٤.

- ــــــــــــــ: صناعة الحياة، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٤.

- ــــــــــــــ: فضائح الفتن، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٤.

- ــــــــــــــ: المسار، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٤.

- ــــــــــــــ: العوائق، مؤسسة الرسالة، بيروت (بدون تاريخ).

- محمد عزت صالح: الشيخ ياسين: السيرة -الاغتيال، المستقبل، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.

- د. محمد منصور: تربية النفس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨.

- د. ميلاد حنا: قبول الآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة القراءة للجميع، القاهرة، ١٩٩٩.

- د. محمد أكرم العدلونى، د. طارق السويدان: القيادة فى القرن الحادى والعشرين، مؤسسة الرسالة للإنتاج والتوزيع الإسلامى، القاهرة، ٢٠٠١.

- نسيبة عبد العزيز العلى المطوع : القدوة وإحياء الضمير، سلسلة رؤية لمنهج تربوى اجتماعى ثقافى إسلامى، لجنة ساعد أخاك المسلم فى كل مكان، الكويت، ٢٠٠٠.

***



الفهرس

